الحشرة الذهبية

وقصص أخرى

المغامرات المثيرة

ARAB-COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

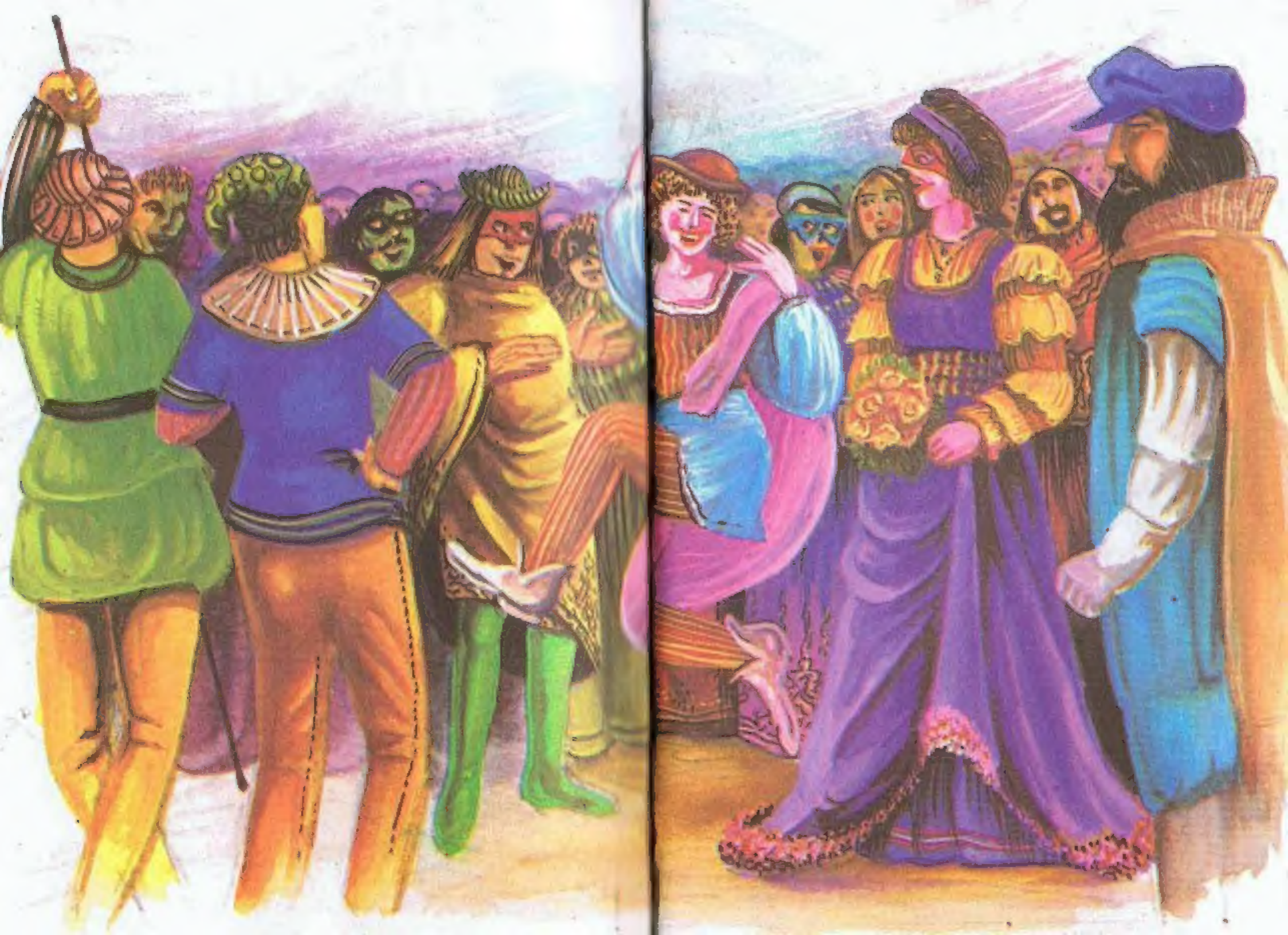

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة
جميع الحقوق محفوظة : لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٦ / ٨٨
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٤-٥

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

الحِرَةُ الذَّهَبِيَّة

وَقصَصٌ أُخرَىٰ

المغامرات المثيرة

تأليف : إدغار آلان پُو
إعداد : اسماعيل أبو العزائم
رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان
بيروت

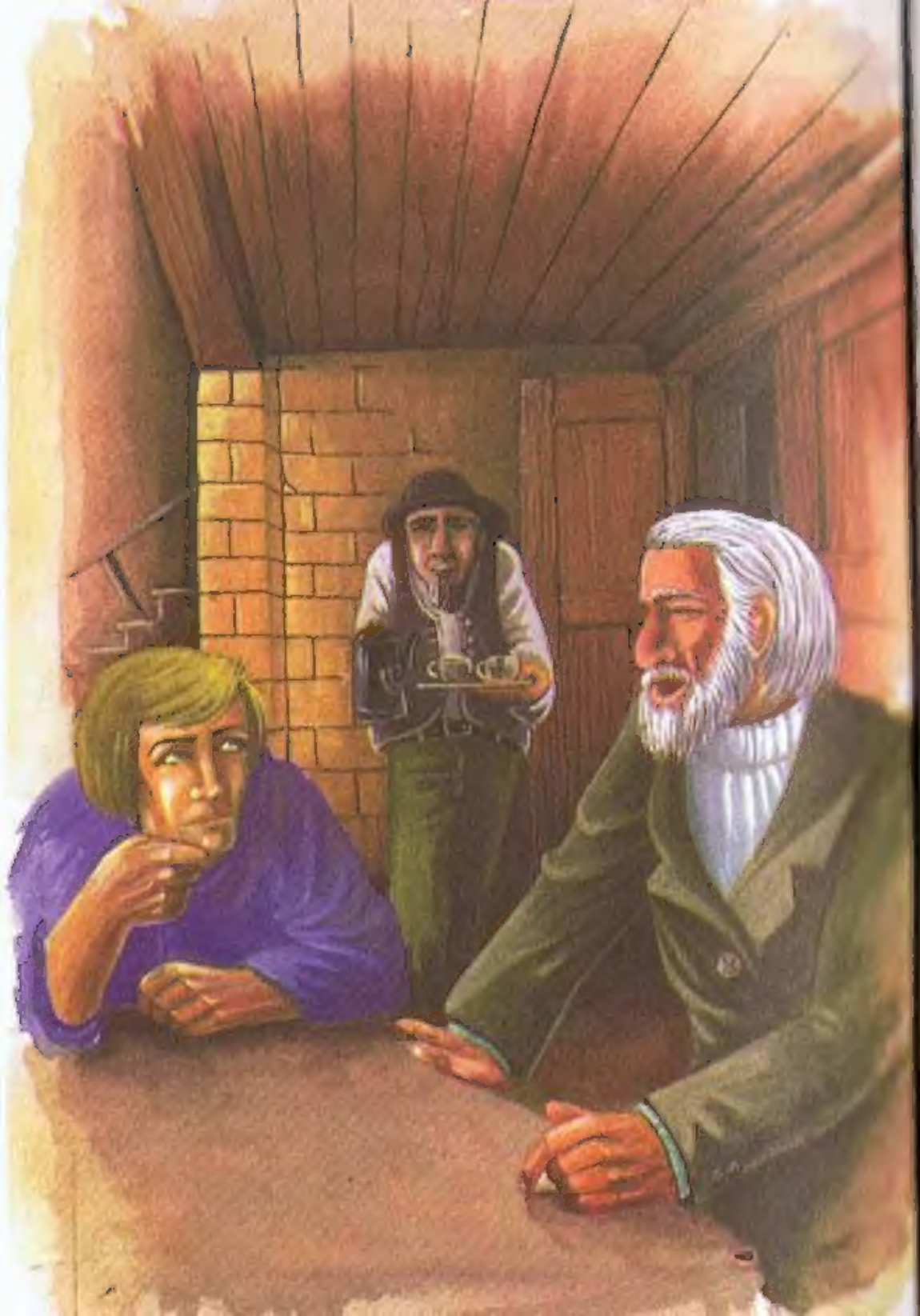

الحَشَرةُ الذَّهَبيَّةُ

بَدأتْ صَداقتي مَعَ السَّيِّد وِلْيم لُوغران مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ . كانَ يَنْعَمُ بالثَّراءِ ، وَلٰكِنَّهُ افتقَرَ بِسَبَبِ عَدَدٍ مِنَ النَّكَباتِ الَّتي أَلَمَّتْ بِهِ . وَلِكَيْ يَتَجَنَّبَ ما قَدْ تُسَبِّبُهُ الفاقةُ مِنْ إحْراجٍ ، ذَهَبَ لِيَعيشَ في جَزيرةِ ساليڤان بِجوارِ تشارْلستُون في وِلايةِ كارُولَيْنا الجَنوبيَّةِ بالوِلاياتِ المُتَّحِدةِ الأَمْريكيَّةِ .

عِنْدَما قابَلْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ كانَ يَعيشُ هُناكَ في كُوخٍ صَغيرٍ ، وَمَعَهُ خادِمٌ عَجوزٌ يُدْعى جُوبيتَر . لَقَدْ كانَ لُوغران شَخْصًا مُثَقَّفًا يَتَمَتَّعُ بِقُدُراتٍ ذِهْنِيَّةٍ غَيْرِ عاديَّةٍ مِمَّا أَثارَ اهتِمامي بِهِ بِدَرَجةٍ كَبيرةٍ . وَقَدْ كانَ يَهْوى القَنْصَ وَصَيْدَ السَّمَكِ بِصُورةٍ خاصَّةٍ ، كَما كانَ مُغْرَمًا بِجَمْعِ الأَصْدافِ وَالحَشَراتِ .

ذَهَبْتُ إلى الجَزيرةِ لِأَزُورَ صَديقي بَعْدَ ظُهْرِ يَوْمٍ بارِدٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ أُكْتوبَر سَنَةَ – ١٨ . وَعِنْدَما وَصَلْتُ إلى الكُوخِ طَرَقْتُ البابَ كَعادَتي ، وَلٰكِنْ لَمْ يَفْتَحْ لي البابَ أَحَدٌ ، فَبَحَثْتُ عَنْ مِفْتاحِهِ في المَكانِ الَّذي اعتادَ صَديقي أَنْ يُخَبِّئَهُ فيهِ . ثُمَّ فَتَحْتُ وَدَخَلْتُ ، وَقَدْ سَرَّني أَنْ وَجَدْتُ المِدْفَأَةَ مُشْتَعِلَةً ، فَنَزَعْتُ مِعْطَفي وَجَلَسْتُ بِجوارِ النَّارِ في انتِظارِ مُضيفي .

وَصَلَ لُوغران وَخادِمُهُ عِنْدَ حُلولِ اللَّيْلِ وَرَحَّبا بي بِحَرارةٍ : أَسْرَعَ جُوبيتَر لِيُعِدَّ بَطَّةً لِلْعَشاءِ ، بَيْنَما بَدَأَ لُوغران يَصِفُ لي شَكْلَ حَشَرةٍ غَريبةٍ كانَ قَدْ وَجَدَها بَعْدَ ظُهْرِ ذٰلِكَ اليَوْمِ وَيَعْتَقِدُ أَنَّها تَنْتَمي إلى فَصيلةٍ جَديدةٍ غَيْرِ مَعْروفةٍ .

قالَ لُوغران : « لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ هُنا لَاحتَفَظْتُ بِها لِأُرِيَكَ إِيَّاها . وَلٰكِنَّني قابَلْتُ صَديقي جـ .. وَأَنا في طَريقي إِلى هُنا وَأَعَرْتُهُ الحَشَرَةَ لِيَفْحَصَها . إِنَّها ذاتُ لَوْنٍ ذَهَبِيٍّ لامِعٍ ، وَهِيَ في حَجْمِ البُنْدُقِةِ الكَبيرةِ ، وَلَها نُقْطَتانِ سَوْداوانِ قُرْبَ نِهايَةِ الظَّهْرِ ، وَنُقْطَةٌ أُخرى أَطْوَلُ في الطَّرَفِ الآخَرِ . وَيَعْتَقِدُ جُوبيتَر أَنَّ الحَشَرَةَ مَصْنوعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ ، أَمَّا أَنا فَلَسْتُ واثِقًا من أَنَّهُ مُخْطِئٌ في ظَنِّهِ هٰذا . »

وَهُنا تَدَخَّلَ جُوبيتَر قائلًا : « أَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ صِحَّةِ ما أَقولُ ، فَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلُ طَوالَ حَياتي أَنْ وَجَدْتُ حَشَرَةً ثَقيلَةً بِهٰذِهِ الدَّرَجَةِ . »

قالَ لُوغران : « الحَقيقَةُ أَنّي لَمْ أَرَ قَطُّ مِنَ الذَّهَبِ ما يَلْمَعُ لَمَعانَ تِلْكَ الحَشَرَةِ . وَلٰكِنْ دَعْني أُعْطِكَ فِكْرَةً عَنْ شَكْلِها . » ثُمَّ جَلَسَ أَمامَ مِنْضَدَةٍ ، عَلَيْها دَواةٌ وَقَلَمٌ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْها وَرَقٌ . فَبَحَثَ عَنِ الوَرَقِ في الدُّرْجِ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ شَيْئًا .

قالَ : « لا بَأْسَ بِهٰذِهِ . » وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ ما كانَ يَبْدو وَكَأَنَّهُ وَرَقَةٌ مُتَّسِخَةٌ مِنْ أَوْراقِ المُذَكِّراتِ ، وَبَدَأَ يَرْسُمُ عَلَيْها صُورَةَ الحَشَرَةِ بِقَلَمِهِ . وَعِنْدَما انْتَهى أَحْضَرَ الوَرَقَةَ إِلَيَّ حَيْثُ كُنْتُ جالِسًا بِجِوارِ المِدْفَأَةِ وَأَعْطانيها . وَعِنْدَما بَدَأْتُ أَدْرُسُ الرَّسْمَ دَخَلَ كَلْبُ لُوغران وَقَفَزَ عَلى كَتِفي وَأَخَذَ يُقَبِّلُني ، لِأَنّي كُنْتُ أَحَدَ المُحَبَّبينَ إِلَيْهِ . وَعِنْدَما نَظَرْتُ إِلى الوَرَقَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ بِقَليلٍ حَيَّرَني ما رَسَمَهُ صَديقي .

قُلْتُ لَهُ : « هٰذِهِ حَشَرَةٌ غَريبَةٌ ، إِنَّها تَبْدو كَما لَوْ كانَتْ جُمْجُمَةً . »

قالَ لُوغران : « جُمْجُمَةٌ ؟ آهٍ ! نَعَمْ ! رُبَّما تَبْدو كَذٰلِكَ عَلى الوَرَقِ . إِذْ قَدْ تَبْدو النُّقْطَتانِ السَّوْداوانِ كَما لَوْ كانَتا عَيْنَيْنِ ، وَالنُّقْطَةُ الطَّويلَةُ السُّفْلِيَّةُ كَما لَوْ كانَتْ فَمًا . »

قُلْتُ : « رُبَّما كانَ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّكَ رَسَّامٌ غَيْرُ ماهِرٍ يا لُوغران ! »

قالَ مُتَضايِقًا بَعْضَ الشَّيْءِ : « لا ، أَوْ عَلى الأَقَلِّ لَقَدْ كانَ مُدَرِّسو الرَّسْمِ لا يَعْتَبِرونَني كَذٰلِكَ . »

قُلْتُ : « حَسَنًا ياصَديقي ، لا بُدَّ أَنَّكَ كُنْتَ تَمْزَحُ . إِنَّ هٰذا الرَّسْمَ صُورَةٌ رائِعَةٌ لِجُمْجُمَةٍ ، وَلٰكِنَّهُ صُورَةٌ سَيِّئَةٌ لِحَشَرَةٍ . »

لاحَظْتُ أَنَّ لُوغران بَدا عَلَيْهِ الغَضَبُ ، فَأَعْطَيْتُهُ الوَرَقَةَ مِنْ دُونِ أَنْ أُبْدِيَ

أَيَّةَ مُلاحَظةٍ أُخرى . إنَّ غَضَبَهُ أَدْهَشَني ، أَمَّا بِالنِّسْبةِ لِلرَّسْمِ فَقَدْ كانَ يُشْبِهُ الجُمْجُمةَ تَمامًا .

أَخَذَ الوَرَقةَ مِنِّي بِشَيْءٍ مِنَ الضِّيقِ ، وَكادَ أَنْ يُلْقِيَ بِها في النَّارِ عِنْدَما جَذَبَ انْتِباهَهُ شَيْءٌ مَا مُتَعَلِّقٌ بِالرَّسْمِ . وَسَرْعانَ ما احْمَرَّ وَجْهُهُ ، ثُمَّ ما لَبِثَ بَعْدَ لَحْظةٍ أَنِ اصْفَرَّ صُفْرةَ المَوْتِ . واصَلَ لُوغران فَحْصَهُ لِلْوَرَقةِ عِدَّةَ دَقائِقَ ، وَأَخَذَ يُقَلِّبُها مِنْ وَجْهٍ لِآخَرَ دُونَ أَنْ يَقولَ شَيْئًا . وَأَخيرًا أَخْرَجَ ظَرْفًا مِنْ جَيْبِ سُتْرَتِهِ وَوَضَعَ الوَرَقةَ فيهِ بِعِنايةٍ ، ثُمَّ وَضَعَ الظَّرْفَ في دُرْجِ مَكْتَبِهِ وَأَغْلَقَهُ .

دَهِشْتُ لِتَصَرُّفِهِ الغَريبِ هٰذا ، وَخابَ أَمَلي في قَضاءِ سَهْرةٍ مُمْتِعةٍ عِنْدَما لاحَظْتُ اسْتِغْراقَهُ في التَّفْكيرِ فَتْرةً طَويلةً . وَعِنْدَما قُمْتُ أَسْتَأْذِنُ في الذَّهابِ لَمْ يَدْعُني لِلْمَبيتِ عِنْدَهُ كَما اعْتادَ ذٰلِكَ ، بَلْ صافَحَني بِفُتورٍ .

مَضَى ما يَقْرُبُ مِنَ الشَّهْرِ مِنْ دُونِ أَنْ أَرى لُوغران ، ثُمَّ جاءَ جُوبيتر لِزِيارَتي في تشارْلستُون . وَكانَتِ الأَخْبارُ الَّتي حَمَلَها غَيْرَ سارةٍ فَقَدْ أَخْبَرَني أَنَّ سَيِّدَهُ مَريضٌ وَفي حاجةٍ إلى المُساعَدةِ . وَكانَ جُوبيتر يَعْتَقِدُ أَنَّ سَبَبَ مَرَضِ سَيِّدِهِ لَسْعةٌ مِنَ الحَشَرةِ الذَّهَبيَّةِ أَصابَتْهُ يَوْمَ أَنْ أَمْسَكَ بِها . وَقالَ جُوبيتر إنَّهُ نَجا مِنْ نَفْسِ المَصيرِ لِأَنَّهُ أَمْسَكَ الحَشَرةَ بِوَرَقةٍ لِذٰلِكَ لَمْ تَلْسَعْهُ . ثُمَّ أَعْطاني جُوبيتر رِسالةً بَعَثَ بِها إلَيَّ سَيِّدُهُ لُوغران ، وَأَخَذْتُ أَقْرَأُها وَقَدِ اعْتَراني شَيْءٌ مِنَ الخَوْفِ .

جاءَ في الرِّسالةِ :

« عَزيزي ... لِماذا لَمْ أَرَكَ مُنْذُ فَتْرةٍ طَويلةٍ ؟ لَدَيَّ بَعْضُ الأَنْباءِ الَّتي أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِها ، وَلٰكِنِّي لا أَعْرِفُ ما أَقولُهُ لَكَ ، أَمِنَ الواجِبِ أَنْ أَفْضِيَ بِها عَلى الإِطْلاقِ ؟

« إنَّني أَشْعُرُ بِوَعْكةٍ مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ وَأَجِدُ صُعوبةً كَبيرةً في التَّخَلُّصِ مِنْ جُوبيتر كَيْ أَقومَ بِبَعْضِ الرِّحْلاتِ الضَّروريَّةِ وَسْطَ التِّلالِ السَّاحِليَّةِ .

« أَرْجو أَنْ تَأْتِيَ إلَيَّ مَعَ جُوبيتر ، إذا كانَ ذٰلِكَ مُمْكِنًا . أَرْجوكَ أَنْ تَأْتِيَ ، فَأَنا أُريدُ أَنْ أَراكَ اللَّيْلةَ لِأَمْرٍ هامٍّ . بَلْ في غايةِ الأَهَمِّيةِ .

المُخْلِصُ ،

ولْيم لُوغران »

شَعَرْتُ بِقَلَقٍ شَديدٍ بَعْدَ قِراءَتي الرِّسالةَ وَأَخَذْتُ أَسْأَلُ نَفْسي : « بِأَيِّ شَيْءٍ يَحْلُمُ صَديقي ؟ ما هِيَ تِلْكَ المَسْأَلةُ الَّتي في غايةِ الأَهَمِّيةِ ؟ أَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ ... ؟ وَخَشِيتُ أَنْ تَكونَ وَطْأَةُ النَّكَباتِ المُسْتَمِرَّةِ قَدْ دَفَعَتْهُ إلى حَدِّ الجُنونِ . وَهٰكَذا وَجَدْتُ نَفْسي أَسْتَعِدُّ لِلذَّهابِ مَعَ جُوبيتر مِنْ دونِ أَدْنى تَرَدُّدٍ .

لاحَظْتُ أَنَّ جُوبيتر كانَ يَحْمِلُ مَعَهُ ثَلاثَ مَجارِفَ قالَ إنَّ لُوغران قَدْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَشْتَريَها مِنْ تشارْلستُون ، وَلَمْ يَعْرِفْ جُوبيتر العَجوزُ لِماذا طَلَبَ مِنْهُ لُوغران شِراءَها . قالَ لي : « إنَّها الحَشَرةُ ياسَيِّدي ، وَكُلُّ هٰذا الهُراءِ سَبَبُهُ الحَشَرةُ . »

وَصَلْنا إلى الكوخِ السَّاعةَ الثَّالِثةَ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَكانَ وَجْهُ لُوغران شاحِبًا

بِدَرَجةٍ كَبيرةٍ ، وَيَبْدو عَلَيْهِ ٱلإرهاقُ ٱلشَّديدُ . وَكانَتْ عَيْناهُ ٱلسَّمْراوانِ تَلْمَعانِ لَمَعانًا غَريبًا غَيْرَ طَبيعيٍّ . وَعِنْدَما سَمِعْتُ كَلِماتِهِ ٱلأُولى دَقَّ قَلْبي دَقًّا عَنيفًا .

قالَ في نَبْرةٍ جادَّةٍ : « ما قالَهُ جُوبيتَر عَنِ ٱلحَشَرةِ صَحيحٌ . إنَّها مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلخالِصِ ، وَسَوْفَ تَكونُ ٱلسَّبَبَ في حُصولي عَلى ثَرْوةٍ طائلةٍ . »

سَأَلْتُهُ في حُزْنٍ : « كَيْفَ سَيَكونُ ذٰلِكَ ؟ »

لَمْ يُجِبْني ، بَلْ ذَهَبَ إلى صُنْدوقٍ زُجاجيٍّ بِجِوارِ ٱلحائِطِ ثُمَّ جاءَ بِالحَشَرةِ إلَيَّ . لَقَدْ كانَتْ في غايةِ ٱلجَمالِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعْروفةً لِلْعُلَماءِ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ . كَما كانَتْ ثَقيلةً وَبَدَتْ – مِنْ دونِ شَكٍّ – كَما لَوْ كانَتْ مَصْنوعةً مِنَ ٱلذَّهَبِ مِمَّا جَعَلَ رَأْيَ جُوبيتَر مَعْقولًا . وَلٰكِنْ لَمْ أَفْهَمْ سَبَبَ مُوافَقةِ لُوغران عَلى رَأْيِ ٱلخادِمِ .

قُلْتُ لَهُ : « يا صَديقيَ ٱلعَزيزَ ، إنَّ صِحَّتَكَ لَيْسَتْ عَلى ما يُرامُ و ... »

قاطَعَني قائِلًا : « أَنْتَ مُخْطِئٌ في هٰذا ؛ أَنا في أَتَمِّ صِحَّةٍ ، إذا وَضَعْنا في ٱلاعْتِبارِ ما أُعانيهِ مِنْ تَوَتُّرٍ وَٱنْفِعالٍ . إذا كُنْتَ تُريدُ حَقيقةً أَنْ أَسْتَعيدَ كامِلَ صِحَّتي فَعَلَيْكَ أَنْ تُخَفِّفَ عَنِّي ما أُعانيهِ مِنْ تَوَتُّرٍ . »

« كَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ ؟ »

« بِمُنْتَهى ٱلسُّهولةِ ، سَوْفَ نَذْهَبُ – أَنا وَجُوبيتَر – في رِحْلةٍ إلى ٱلتِّلال ، وَسَوْفَ نَحْتاجُ إلى مُساعَدةِ شَخْصٍ نَثِقُ فيهِ . وَسواءٌ أَنَجَحْنا أَمْ

فَشِلْنا في تَحْقيقِ هَدَفِنا ، فَسَوْفَ أَتَخَلَّصُ عَلى ٱلأَقَلِّ مِنْ هٰذا ٱلتَّوَتُّرِ ٱلَّذي أُعاني مِنْهُ . »

أَجَبْتُهُ : « كَمْ أَوَدُّ أَنْ أُقَدِّمَ لَكَ أَيَّةَ مُساعَدةٍ تَطْلُبُها ، وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ مُخْطِئٌ فيما قُلْتَهُ عَنِ ٱلحَشَرةِ ، وَأُريدُ أَنْ تَعِدَني بِشَرَفِكَ أَنْ تَعودَ مَعي إلى ٱلكوخِ بَعْدَ ٱنْتِهاءِ هٰذِهِ ٱلرِّحْلةِ ، وَتُنَفِّذَ ما أُقَدِّمُهُ لَكَ مِنْ نُصْحٍ كَما لَوْ كُنْتُ طَبيبَكَ . »

قالَ لُوغران : « نَعَمْ ، أَعِدُكَ . وَٱلآنَ فَلْنَذْهَبْ ، فَلَيْسَ عِنْدَنا وَقْتٌ لِنُضَيِّعَهُ . »

سِرْتُ مَعَ صَديقي حَزينَ ٱلقَلْبِ ، وَبَدَأْنا رِحْلَتَنا ٱلسَّاعةَ ٱلرَّابِعةَ وَكُنَّا أَرْبعةً أَنا وَلُوغران وَجُوبيتَر وَٱلكَلْبُ . وَكانَ جُوبيتَر يَحْمِلُ ٱلمَجارِفَ ٱلثَّلاثَ ، وَكُنْتُ أَنا أَحْمِلُ مِصْباحَيْنِ . أَمَّا لُوغران فَلَمْ يَأْخُذْ مَعَهُ إلَّا ٱلحَشَرةَ ٱلذَّهَبيَّةَ بَعْدَ أَنْ رَبَطَها بِخَيْطٍ طَويلٍ ، وَكانَ يُطَوِّحُ بِها يَمْنةً وَيَسْرةً أَثْناءَ سَيْرِهِ . وَٱنْسابَتِ ٱلدُّموعُ مِنْ عَيْنَيَّ وَأَنا أَرى ٱلدَّليلَ ٱلأَخيرَ عَلى ٱخْتِلالِ عَقْلِ صَديقي .

سِرْنا إلى بَرِّ ٱلجَزيرةِ ٱلرَّئيسيِّ ، ثُمَّ ٱتَّجَهْنا نَحْوَ ٱلشَّمالِ ٱلغَرْبيِّ . وَبَعْدَ مَسيرةِ ساعَتَيْنِ تَقْريبًا وَصَلْنا إلى أَرْضٍ مُرْتَفِعةٍ وَمُنْبَسِطةٍ مُحاطةٍ بِٱلغاباتِ وَٱلأَراضي ٱلمُسْتَنْقِعيةِ ، وَكانَتِ ٱلشَّمْسُ قَدْ آذَنَتْ بِٱلمَغيبِ . وَٱتَّجَهَ لُوغران رَأْسًا نَحْوَ شَجَرةٍ كانَتْ قائِمةً مَعَ ثَماني أَوْ عَشْرِ أَشْجارٍ أُخْرى وَسَطَ هٰذِهِ ٱلأَرْضِ ٱلمُنْبَسِطةِ . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلشَّجَرةُ أَطْوَلَ مِنَ ٱلأَشْجارِ ٱلأُخْرى وَأَكْثَرَ

مِنْها جَمالًا ، وَكانَتْ فُروعُها مُمْتَدَّةً إلى كُلِّ جانِبٍ ناشِرةً ظِلالَها عَلى الأَشْجارِ المُجاوِرةِ . وَعِنْدَما وَصَلْنا إلى تِلْكَ الشَّجَرةِ ، اتَّجَهَ لُوغران نَحْوَ جُوبيتر وَسَأَلَهُ إذا كانَ في وُسْعِهِ أَنْ يَتَسَلَّقَها . وَبَدا أَنَّ هٰذا الطَّلَبَ قَدْ أَدْهَشَ الرَّجُلَ العَجوزَ ، وَلِهٰذا ظَلَّ صامِتًا لَحْظَةً ثُمَّ أَجابَ في النِّهايةِ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ بِعِنايةٍ إلى الشَّجَرةِ : « نَعَمْ ، يُمْكِنُني أَنْ أَتَسَلَّقَها . إلى أَيِّ ارْتِفاعٍ تُريدُني أَنْ أَتَسَلَّقَها ؟ »

قالَ : « تَسَلَّقِ الجِذْعَ أَوَّلًا ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ أَيَّ اتِّجاهٍ تَأْخُذُ وَأَيْنَ تَتَوَقَّفُ . خُذِ الحَشَرةَ مَعَكَ . »

قالَ جُوبيتر بِشَيْءٍ مِنَ الاشْمِئْزازِ : « تَعْني الحَشَرةَ الذَّهَبِيَّةَ يا سَيِّدي ، لِماذا آخُذُها ؟ »

قالَ لُوغران : « نَفِّذْ ما أَقولُهُ لَكَ . » ثُمَّ أَعْطاهُ الخَيْطَ الَّذي رُبِطَتِ الحَشَرةُ فيهِ . « وَالآنَ ، اِبْدَأْ في تَسَلُّقِ الشَّجَرةِ . »

أَمْسَكَ الخادِمُ بِالخَيْطِ مُرْغَمًا ، وَبَدَأَ يَتَسَلَّقُ . وَلَمْ يَكُنْ هٰذا الجُزْءُ مِنَ المُهِمَّةِ الغَريبةِ أَمْرًا عَسيرًا ؛ ذٰلِكَ أَنَّ الشَّجَرةَ كانَتْ كَبيرةً وَلَمْ يَكُنْ جِذْعُها مُسْتَوِيًا ؛ مِمَّا جَعَلَ بِهِ عَدَدًا مِنَ التَّجاوِيفِ الَّتي مَكَّنَتِ الخادِمَ مِنْ تَثْبيتِ قَدَمَيْهِ بِها . وَهٰكَذا أَصْبَحَ جُوبيتر عَلى بُعْدِ عِشْرينَ مِتْرًا تَقْريبًا مِنَ الأَرْضِ وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا دَقائِقُ قَليلةٌ .

صاحَ لُوغران : « واصِلْ تَسَلُّقَ الجِذْعِ إلى أَنْ تَصِلَ الفَرْعَ السّابِعَ . »

بَعْدَ دَقائِقَ قَليلةٍ سَمِعْنا جُوبيتَر يَقولُ إنَّهُ عَدَّ سِتَّةَ فُروعٍ أَسْفَلَ الفَرْعِ الَّذي يَجْلِسُ عَلَيْهِ .

قالَ لَهُ لُوغران بِحَماسٍ شَديدٍ : « الآن يا جُوبيتَر ، تَسَلَّقْ هٰذا الفَرْعَ إلى أَقْصى قَدْرٍ مُمْكِنٍ وَأَخْبِرْني بِأَيِّ شَيْءٍ غَريبٍ تَراهُ . »

عِنْدَما سَمِعْتُ تِلْكَ الكَلِماتِ قُلْتُ في نَفْسي وَالحُزْنُ يَمْلأُ جَوانِحي : « إنَّهُ لَمْ يَعُدْ هُناكَ أَدْنى شَكٍّ في أَنَّ صَديقي قَدْ جُنَّ . »

وَتَمَلَّكَتْني رَغْبَةٌ شَديدةٌ في أَنْ آخُذَهُ إلى البَيْتِ . وَأَثْناءَ تَفْكيري في الأُسْلُوبِ الأَمْثَلِ الَّذي يُمْكِنُني أَنْ أَتَّبِعَهُ سَمِعْتُ صَوْتَ جُوبيتَر مَرَّةً أُخْرى يَقولُ : « أَنا مُسْتَمِرٌّ في التَّسَلُّقِ يا سَيِّدي وَسَوْفَ أَصِلُ قَريبًا إلى .. آهٍ .. رَحْمَتَكَ يارَبُّ . ما هٰذا الَّذي أَراهُ ؟ »

صاحَ لُوغران وَقَدِ اشْتَدَّ بِهِ الفَرَحُ : « حَسَنًا ماذا تَرى ؟ »

قالَ جُوبيتَر : « إنَّها جُمْجُمَةٌ وَهي مُثَبَّتَةٌ في الشَّجَرَةِ بِمَساميرَ . »

قالَ لُوغران : « حَسَنًا يا جُوبيتَر ! افْعَلْ ما أَقولُه لَكَ بِالضَّبْطِ . هَلْ تَسْمَعُني ؟ »

« نَعَمْ يا سَيِّدي . »

« اِنْتَبِهْ لِما أَقولُهُ لَكَ . عَلَيْكَ بِالعَيْنِ اليُسْرى لِلْجُمْجُمَةِ وَدَعِ الحَشَرَةَ تَسْقُطُ مِنْها في اتِّجاهِ الأَرْضِ إلى أَقْصى ما يَصِلُ إلَيْهِ الخَيْطُ . وَلٰكِنْ كُنْ حَريصًا وَلا تَتْرُكِ الخَيْطَ يُفْلِتُ مِنْ يَدِكَ . »

« العَيْنُ اليُسْرى ياسَيِّدي ؟ نَعَمْ وَجَدْتُها . إنَّهُ مِنَ السَّهْلِ أَنْ أَجْعَلَ الحَشَرَةَ تَسْقُطُ مِنْ تَجْويفِ العَيْنِ هٰذا . هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَراها وَقَدْ سَقَطَتْ إلى أَسْفَلُ ؟ »

بَدَأْنا الآنَ نَرى الحَشَرَةَ تَلْمَعُ في طَرَفِ الخَيْطِ وَكَأَنَّها كُرَةٌ مِنَ الذَّهَبِ تَلألأُ في أَشِعَّةِ شَمْسِ الغُروبِ . قامَ لُوغران عَلى الفَوْرِ بِالإمْساكِ بِمِجْرَفَةٍ وَأَخَذَ يُنَظِّفُ بِها مِساحَةً دائِريَّةً قُطْرُها ثَلاثَةُ أَمْتارٍ أَوْ أَرْبَعَةٌ في المِنْطَقَةِ الَّتي تَقَعُ تَحْتَ الحَشَرَةِ تَمامًا . ثُمَّ أَمَرَ جُوبيتَر أَنْ يَتْرُكَ الخَيْطَ يَسْقُطُ وَأَنْ يَنْزِلَ هُوَ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ .

وَضَعَ صَديقي عَصًا في نَفْسِ النُّقْطَةِ الَّتي وَقَعَتِ الحَشَرَةُ عَلَيْها ، وَضَغَطَ طَرَفَ العَصا لِتَنْفُذَ في الأَرْضِ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ شَريطَ قِياسٍ وَرَبَطَ طَرَفًا مِنْهُ بِأَقْرَبِ جُزْءٍ مِنْ جِذْعِ الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ بَسَطَ الشَّريطَ إلى أَنْ وَصَلَ إلى العَصا . ثُمَّ اسْتَمَرَّ بَعْدَ ذٰلِكَ لِمَسافَةٍ تَزيدُ عَلى سِتَّةَ عَشَرَ مِتْرًا وَنِصْفِ المِتْرِ . وَكانَ جُوبيتَر يَسيرُ أَمامَهُ مُفْسِحًا طَريقًا لَهُ وَلِلشَّريطِ مُسْتَخْدِمًا المِجْرَفَةَ . عِنْدَ النُّقْطَةِ الَّتي وَصَلَ إلَيْها ، جاءَ لُوغران بِعَصًا أُخْرى وَغَرَسَها في الأَرْضِ ، ثُمَّ بَدَأَ في تَنْظيفِ الأَرْضِ حَوْلَ العَصا في دائِرَةٍ قُطْرُها مِتْرٌ وَرُبْعُ المِتْرِ . وَأَمْسَكَ لُوغران بِمِجْرَفَةٍ وَأَعْطاني مِجْرَفَةً وَأَعْطى جُوبيتَر مِجْرَفَةً أُخْرى ، وَطَلَبَ مِنَّا أَنْ نَحْفِرَ عَلى الفَوْرِ .

وَالحَقيقَةُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ أَيُّ رَغْبَةٍ في القِيامِ بِأَيِّ عَمَلٍ آخَرَ . وَكانَ يَوَدُّ أَنْ أَرْفُضَ ذٰلِكَ لَوِ اسْتَطَعْتُ مِنْ دونِ أَنْ أُضايِقَ صَديقي المِسْكينَ .

وَلٰكِنَّهُ كانَ مُتَحَمِّسًا جِدًّا ، وَرَأَيْتُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَنْ أُمْسِكَ بِالمِجْرَفَةِ وَأَتَظاهَرَ عَلَى ٱلأَقَلِّ بِالتَّعاطُفِ مَعَهُ .

واصَلْنا ٱلحَفْرَ في ضَوْءِ ٱلمِصْباحِ لِمُدَّةِ ساعَتَيْنِ ، وَبَلَغَ عُمْقُ ٱلحُفْرَةِ مِتْرَيْنِ تَقْرِيبًا مِنْ دونِ أَنْ يَصِلَ إلى شَيْءٍ غَيْرِ ٱلحَصى وَٱلرَّمْلِ . وَتَوَقَّفْنا عَنِ ٱلحَفْرِ ، وَبَدَأْتُ أُمَنّي ٱلنَّفْسَ أَنَّ هٰذا ٱلهُراءَ قَدْ وَصَلَ إلى نِهايَتِهِ ، وَلٰكِنَّ لُوغران مَسَحَ وَجْهَهُ وَهُوَ غارِقٌ في ٱلتَّفْكيرِ ثُمَّ أَمْسَكَ بِالمِجْرَفَةِ مَرَّةً أُخْرى ، وَبَدَأَ يَحْفِرُ ثانِيَةً عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عَلاماتِ خَيْبَةِ ٱلأَمَلِ قَدْ ظَهَرَتْ واضِحَةً عَلى وَجْهِهِ .

حَفَرْنا جَوانِبَ ٱلدّائِرَةِ كُلَّها ، ثُمَّ عَمَّقْنا ٱلحُفْرَةَ بِمِقْدارِ قَدَمَيْنِ أُخْرَيَيْنِ . وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يَظْهَرْ ما يَجْذِبُ ٱلنَّظَرَ . وَأَخيرًا تَسَلَّقَ صَديقي جانِبَ ٱلحُفْرَةِ ، وَوَقَفَ فَوْقَها وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ ٱلهَزيمَةِ ٱلمَريرَةِ . وَلَبِسَ سُتْرَتَهُ في بُطْءٍ ، وَجَمَعَ جُوبيتَر أَدَواتِ ٱلحَفْرِ وَقَفَلْنا راجِعينَ وَقَدْ خَيَّمَ عَلَيْنا صَمْتٌ مُطْبِقٌ .

لَمْ نَكَدْ نَمْضي بِضْعَ خُطواتٍ في طَريقِ عَوْدَتِنا حَتّى أَمْسَكَ لُوغران بِتَلابيبِ جُوبيتَر وَصاحَ فيهِ قائِلًا : « أَيُّها ٱلغَبِيُّ ! أَيُّها ٱلشَّخْصُ ٱلَّذي لا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ ! تَكَلَّمْ ! أَجِبْ عَنْ سُؤالي عَلى ٱلفَوْرِ : أَيُّ عَيْنَيْكَ هِيَ ٱلعَيْنُ ٱليُسْرى ؟ »

صاحَ ٱلرَّجُلُ ٱلعَجوزُ : « آهِ ياسَيِّدي ، أَلَيْسَتْ هٰذِهِ هي عَيْنِيَ ٱليُسْرى ؟ » ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلى عَيْنِهِ ٱليُمْنى ، وَظَلَّ مُحْتَفِظًا بِها هٰكَذا كَأَنَّما يَخْشى أَنْ يَقومَ سَيِّدُهُ بِٱقْتِلاعِ ٱلعَيْنِ مِنْ مَكانِها .

صاحَ لُوغران : « لَقَدْ تَوَقَّعْتُ ذٰلِكَ ، وَعَرَفْتُ كُلَّ شَيْءٍ . مَرْحى ! مَرْحى ! تَعالَيا يَجِبُ أَنْ نَعودَ . » ثُمَّ تَحَدَّثَ بِهُدوءٍ أَكْثَرَ مُسْتَفْسِرًا : « مِنْ أَيِّ عَيْنٍ أَسْقَطْتَ ٱلحَشَرَةَ ، مِنْ هٰذِهِ ٱلعَيْنِ أَمْ مِنْ هٰذِهِ ؟ » وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى عَيْنَيِ ٱلرَّجُلِ ٱلمِسْكينِ ٱلواحِدَةِ بَعْدَ ٱلأُخْرى .

أَجابَ ٱلرَّجُلُ : « مِنْ هٰذِهِ ٱلعَيْنِ ياسَيِّدي — ٱلعَيْنِ ٱليُسْرى — تَمامًا كَما طَلَبْتَ مِنّي . » وَوَضَعَ يَدَهُ مَرَّةً أُخْرى عَلى عَيْنِهِ ٱليُمْنى .

قالَ لُوغران : « هٰذا يَكْفي ! يَجِبُ أَنْ نُعيدَ ٱلمُحاوَلَةَ . »

رَجَعْنا إلى ٱلشَّجَرَةِ ، وَنَقَلَ صَديقي ٱلعَصا ، ٱلَّتي كانَ قَدْ غَرَسَها في ٱلأَرْضِ في ٱلمَكانِ ٱلَّذي وَقَعَتِ ٱلحَشَرَةُ عَلَيْهِ ، إلى مَكانٍ جَديدٍ غَرَسَها فيهِ بُعْدُ حَوالَى ثَمانِيَةِ سَنْتيمِتْراتٍ غَرْبِيَّ مَكانِها ٱلسّابِقِ . وَأَخَذَ شَريطَ ٱلقِياسِ وَقاسَ ٱلمَسافَةَ بَيْنَ ٱلشَّجَرَةِ وَٱلعَصا ، وَٱسْتَمَرَّ في خَطٍّ مُسْتَقيمٍ إلى مَسافَةِ سِتَّةَ عَشَرَ مِتْرًا وَنِصْفِ ٱلمِتْرِ . وَبِذٰلِكَ وَصَلْنا إلى مَكانٍ يَبْعُدُ عِدَّةَ أَمْتارٍ عَنِ ٱلحُفْرَةِ ٱلَّتي كُنّا قَدْ حَفَرْناها . وَقامَ لُوغران بِعَمَلِ دائِرَةٍ أُخْرى حَوْلَ ٱلنُّقْطَةِ ٱلجَديدَةِ ، ثُمَّ بَدَأْنا ٱلحَفْرَ مَرَّةً أُخْرى .

أَخَذْنا نَحْفِرُ صامِتينَ لِمُدَّةِ ساعَةٍ وَنِصْفِ ٱلسّاعَةِ تَقْرِيبًا عِنْدَما قاطَعَنا ٱلكَلْبُ بِنُباحِهِ ٱلشَّديدِ ، ثُمَّ ٱنْدَفَعَ فَجْأَةً نَحْوَ ٱلحُفْرَةِ وَأَخَذَ يَحْفِرُ بِرِجْلَيْهِ ٱلأَمامِيَّتَيْنِ وَكَأَنَّما قَدْ أَصابَهُ مَسٌّ مِنَ ٱلجُنونِ . وَبَعْدَ ثَوانٍ قَليلَةٍ رَأَيْنا كُتْلَةً مِنَ ٱلعِظامِ ٱلبَشَرِيَّةِ لِشَخْصَيْنِ . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلعِظامُ مَخْلوطَةً بِما يُشْبِهُ ٱلرَّمادَ ٱلَّذي يُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ نَتيجَةَ تَحَلُّلِ مَلابِسِ ٱلمَيِّتَيْنِ . وَبَعْدَ أَنْ رَفَعْنا بَعْضَ

الأثرية و حدّدا نصل سكّيي كبيرة ، ثُمَّ واصلا الحفر ، و بعد قليل لمعت في ضوء المصباح بضع قطع من العُملة الذهبية و الفضّية .

أهاب بنا لوغران أنْ نواصِلَ الحَفْرَ ، وَما كادَ يَنْتهي مِنْ حديثِه حتّى ظهرتْ حلْقةٌ حديديّةٌ كبيرةٌ ، و سرْعان ما اكتشفْنا أنَّ هذه الحلْقة مُتّصلةٌ بصنْدوق خشبيٍّ كبيرٍ . فواصلْنا العمل بحدٍّ و نشاطٍ و كانت الدّقائقُ العشْرُ التّاليةُ مِنْ أكْثرِ أوْقاتِ حَياتي إثارةً . كانَ طُولُ الصنْدوقِ مِتْرًا ، و عَرْضُهُ تِسْعينَ سنْتيمتْرًا، وَارتفاعُهُ خَمْسةً وَسبْعينَ سنْتيمتْرًا . و كانتِ الحلْقةُ الّتي ظَهَرَتْ لَنا في البدايةِ واحِدةً مِنْ ستِّ حَلَقاتٍ كُلُّ ثَلاثٍ مِنْها في جانبٍ بحيْثُ يقومُ ستّةُ أفْرادٍ بِحَمْلِ الصنْدوقِ . وَلَمْ نَتَمَكَّنْ نَحْنُ مِنْ زَحْزحة الصنْدوق إلى أكْثر مِنْ سنتيمتْرَيْن ، ولكنْ مِنْ حُسْنِ حظّنا أنّ عطاء الصنْدوق لَمْ يكُنْ مُغْلقا إلّا بمِزْلاجٍ ، فلمّا حدّقْناهُما إلى الحلْف أمْكنا أنْ نفْتح الصنْدوق . و بعْد لحْظةٍ وجدْنا أمامنا كنْزا لا يُقدّرُ بثمنٍ ، و كان ضوْءُ المصْباح ينْعكسُ على أكْوام الذّهب و الجواهر و يُرْسلُ من الوميضِ ما لا تقْدرُ أعْيُنُنا على النّظر إليْه لفتْرةٍ طويلةٍ .

لا يُمْكنُني أنْ أصف مشاعرنا و نحْنُ نرى ما رأيْنا . لقدْ وقفْنا مِنْ دون كلمةٍ أوْ حراكٍ لمُدّة دقيقتيْن فيما أعْتقدُ ؛ ثُمّ حثا لجوبيتر على رُكْبتيْه و كأنّهُ في حُلْمٍ ، و أدْخل ذراعهُ حتّى كتفهُ في الذّهب و الجواهر و قال في هدوءٍ « هذا كُلُّهُ قدْ جاءتْ بِهِ الحشرةُ الذّهبيّةُ ؟ كُلُّ هذا من الحشرة الذّهبيّة ! »

أصْبحَ لِزاما علينا أنْ نفكّر في طريقةٍ ننْقُلُ بها هذا الكنْز قبْل أنْ يُصْبحَ

ٱلصَّبَاحُ . فَنَاقَشْنَا فِي ذٰلِكَ ، وَقَرَّرْنَا بَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ مِنَ ٱلْمُنَاقَشَةِ أَنْ نُخَفِّفَ ٱلصُّنْدُوقَ بِأَنْ نَنْقُلَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ ٱلْقِطَعِ ٱلْكَبِيرَةِ وَنَقُومَ بِتَخْبِئَتِهَا وَسْطَ ٱلْأَعْشَابِ . وَلَمَّا أَنْجَزْنَا ذٰلِكَ ، تَرَكْنَا ٱلْكَلْبَ لِيَحْرُسَهَا ثُمَّ أَسْرَعْنَا بِٱلصُّنْدُوقِ وَوَصَلْنَا بِهِ إِلَى ٱلْكُوخِ ٱلسَّاعَةَ ٱلْوَاحِدَةَ صَبَاحًا بَعْدَ رِحْلَةٍ شَاقَّةٍ لِلْغَايَةِ . ثُمَّ أَخَذْنَا رَاحَتَنَا حَتَّى ٱلثَّانِيَةِ وَتَنَاوَلْنَا ٱلْعَشَاءَ ، وَرَحْنَا بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى ٱلتِّلَالِ وَمَعَنَا ثَلَاثُ حَقَائِبَ مَتِينَةٍ ، فَوَصَلْنَا إِلَى مَكَانِ ٱلْكَنْزِ قَبْلَ ٱلسَّاعَةِ ٱلرَّابِعَةِ . عِنْدَئِذٍ قُمْنَا بِتَقْسِيمِ مَا تَبَقَّى مِنْهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَقْرِيبًا ، وَوَضَعْنَا كُلَّ قِسْمٍ فِي حَقِيبَةٍ ، وَحَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا حَقِيبَةً ، وَقَفَلْنَا رَاجِعِينَ لِنَصِلَ إِلَى ٱلْكُوخِ لِلْمَرَّةِ ٱلثَّانِيَةِ وَقَدْ أَوْشَكَ نُورُ ٱلصَّبَاحِ عَلَى ٱلظُّهُورِ مِنْ بَعِيدٍ .

أَخَذْنَا قَدْرًا آخَرَ مِنَ ٱلرَّاحَةِ ، ثُمَّ قُمْنَا بِفَحْصِ قِطَعِ ٱلْكَنْزِ وَفَرْزِهَا بِعِنَايَةٍ كَبِيرَةٍ ، فَوَجَدْنَا أَنَّنَا نَمْتَلِكُ ثَرْوَةً فَاقَتْ فِي ضَخَامَتِهَا كُلَّ مَا تَخَيَّلْنَاهُ . فَقَدْ كَانَ عَدَدُ ٱلْعُمْلَاتِ يَفُوقُ ٱلْأَرْبَعَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دُولَارٍ . وَلَمْ تَكُنْ بِٱلْمُجَوْهَرَاتِ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلْفِضَّةِ ، بَلْ كَانَتْ كُلُّهَا مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْمُتَنَوِّعِ ٱلْأَشْكَالِ ٱلَّذِي يَرْجِعُ صُنْعُهُ إِلَى أَزْمَانٍ قَدِيمَةٍ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ نُقُودٌ مِنْ مُخْتَلِفِ دُوَلِ أُورُبَّا . وَكَانَ مِنَ ٱلصَّعْبِ تَحْدِيدُ قِيمَةِ مَا يَحْتَوِيهِ ٱلْكَنْزُ مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْأَلْمَاسِ وَٱللَّآلِئِ ، وَمَا إِلَيْهَا وَمِئَاتِ ٱلْحُلِيِّ ٱلذَّهَبِيَّةِ ، وَكَانَ إِجْمَالِيُّ وَزْنِهَا حَوَالَى مِئَةٍ وَثَمَانِينَ كِيلُو غْرَامًا . وَلَا يَشْمَلُ هٰذَا ٱلرَّقْمُ وَزْنَ مِئَةٍ وَسَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَاعَةً ذَهَبِيَّةً جَمِيلَةً ، مِنْهَا ثَلَاثٌ يُقَدَّرُ ثَمَنُ ٱلْوَاحِدَةِ مِنْهَا بِخَمْسِمِئَةِ دُولَارٍ . وَقَدْ قَدَّرْنَا قِيمَةَ ٱلْكَنْزِ كُلِّهِ بِحَوَالَى مِلْيُونِ دُولَارٍ وَنِصْفِ ٱلْمِلْيُونِ وَنَكِدْنَا وَجَدْنَا بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْقِيمَةَ ٱلْحَقِيقِيَّةَ كَانَتْ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ .

فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلتَّالِيَةِ حَكَى لِي لُوعْرَانْ قِصَّةَ ذٰلِكَ ٱلْحَدَثِ ٱلْغَرِيبِ . قَالَ :

« أَتَذْكُرُ تِلْكَ ٱلْوَرَقَةَ ٱلَّتِي رَسَمْتُ لَكَ عَلَيْهَا صُورَةَ ٱلْحَشَرَةِ ؟ »

سَأَلْتُهُ : « ٱلْحَشَرَةُ ٱلَّتِي كَانَتْ تَبْدُو كَجُمْجُمَةٍ ؟ »

أَجَابَ : « نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ ٱلْوَرَقَةُ فِي حَقِيقَةِ ٱلْأَمْرِ قِطْعَةً مِنَ ٱلْجِلْدِ ٱلرَّقِيقِ . وَعِنْدَمَا أَعَدْتُهَا إِلَيَّ وَجَدْتُ صُورَةَ جُمْجُمَةٍ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي رَسَمْتُ بِهِ صُورَةَ ٱلْحَشَرَةِ . وَلٰكِنْ عِنْدَمَا قَلَبْتُ ٱلْوَرَقَةَ وَجَدْتُ ٱلرَّسْمَ ٱلَّذِي رَسَمْتُهُ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْآخَرِ بِقِطْعَةِ ٱلْجِلْدِ . فَوَجَدْتُ أَمَامِي لُغْزًا مُحَيِّرًا ، ذٰلِكَ أَنَّنِي كُنْتُ مُتَأَكِّدًا عِنْدَمَا قُمْتُ بِرَسْمِ ٱلْحَشَرَةِ أَنَّ وَجْهَيْ قِطْعَةِ ٱلْجِلْدِ كَانَا حَالِيَيْنِ مِنْ أَيِّ رَسْمٍ .

« وَحَاوَلْتُ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ أَنْ أَحُلَّ هٰذَا ٱللُّغْزَ بَعْدَ أَنْ خَرَجْتَ أَنْتَ وَبَدَا جُوبِيتَرُ يَغُطُّ فِي نَوْمِهِ . وَتَذَكَّرْتُ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ قِطْعَةَ ٱلْجِلْدِ تِلْكَ عِنْدَمَا كَانَتْ مَطْمُورَةً إِلَى نِصْفِهَا فِي ٱلرَّمْلِ بِجِوَارِ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي وَجَدْنَا ٱلْحَشَرَةَ فِيهِ . وَكَانَ جُوبِيتَرُ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ ٱلْقِطْعَةَ مِنَ ٱلْجِلْدِ لِيُمْسِكَ بِهَا ٱلْحَشَرَةَ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ تَلْسَعَهُ . وَقَدْ وَضَعْتُ ٱلْحَشَرَةَ فِي قِطْعَةِ ٱلْجِلْدِ وَلَفَفْتُهَا بِهَا وَمَسَكْتُهَا إِلَى أَنْ قَابَلْنَا صَدِيقِي حـ .. وَلَا بُدَّ أَنَّنِي وَضَعْتُ قِطْعَةَ ٱلْجِلْدِ فِي جَيْبِي مِنْ دُونِ تَفْكِيرٍ بَعْدَ أَنْ أَعَرْتُ صَدِيقِيَ ٱلْحَشَرَةَ .

« عِنْدَمَا فَكَّرْتُ فِيمَا حَدَثَ تَفْكِيرًا عَمِيقًا تَذَكَّرْتُ حَقِيقَةً غَرِيبَةً ، وَهِيَ أَنِّي لَاحَظْتُ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي وَجَدْتُ ٱلْحَشَرَةَ فِيهِ بَقَايَا قَارِبٍ تَابِعٍ لِسَفِينَةٍ مَا . وَلَمْ يَتَبَقَّ مِنْ هٰذَا ٱلْقَارِبِ إِلَّا بَضْعُ قِطَعٍ مِنَ ٱلْخَشَبِ مُلْقَاةٍ عَلَى

ٱلشَّاطِئ .. رُبَّما تَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلخيال قَدْ جَمحَ بي ، وَلٰكِنَّ شَيْئًا ما يَرْبُطُ هٰذِهِ ٱلأَشْياءَ : هُناكَ حُطامُ ٱلقارِبِ وَبِجوارِهِ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلجِلْدِ أَوِ ٱلوَرَقِ مَرْسومٌ عَلَيْها صُورَةُ جُمْجُمَةٍ . أَنْتَ تَعْرِفُ بِالطَّبْعِ أَنَّ ٱلجُمْجُمَةَ هِيَ ٱلعَلامَةُ ٱلمُعْتادَةُ لِقَراصِنَةِ ٱلبَحْرِ ، وَأَنَّ عَدَدَ ٱلقَراصِنَةِ عالِيًا ما يَكونُ عَلَيْهِ صُورَةُ جُمْجُمَةٍ . »

قاطَعْتُهُ قائلًا : « وَلٰكِنَّكَ قُلْتَ إِنَّ ٱلوَرَقَةَ أَوْ قِطْعَةَ ٱلجِلْدِ لَمْ تَكُنْ عَلَيْها أَيَّةُ عَلامَةٍ عِنْدَما رَسَمْتَ عَلَيْها صُورَةَ ٱلحَشَرَةِ . كَيْفَ إِذًا ظَهَرَتْ صُورَةُ ٱلجُمْجُمَةِ ، وَمَتى ظَهَرَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ؟ »

أَجابَ : « آهٍ ، هُنا يَكْمُنُ ٱلسِّرُّ كُلُّهُ عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ غُموضَهُ لَمْ يَطُلْ . لَقَدِ ٱسْتَرْجَعْتُ في ذِهْني جَميعَ تَفاصيلِ هٰذا ٱلحادِثِ . ففي ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتي زُرْتَني فيها كانَ ٱلجَوُّ بارِدًا — وَكانَ ذٰلِكَ لِحُسْنِ حَظِّنا — وَكُنْتَ أَنْتَ جالِسًا بِجوارِ ٱلمِدْفَأَةِ . وَعِنْدَما وَضَعْتَ قِطْعَةَ ٱلجِلْدِ في يَدِكَ وَبَدَأْتَ أَنْتَ تَرى ٱلرَّسْمَ قَفَزَ ٱلكَلْبُ عَلى كَتِفِكَ ، فَبَدَأْتَ تُداعِبُهُ بِإِحْدى يَدَيْكَ ، بَيْنَما كانَتِ ٱليَدُ ٱلأُخْرى ٱلَّتي تُمْسِكُ قِطْعَةَ ٱلجِلْدِ قَدِ ٱقْتَرَبَتْ مِنْ نارِ ٱلمِدْفَأَةِ . نَظَرْتَ في آخِرِ ٱلأَمْرِ إِلى قِطْعَةِ ٱلجِلْدِ فَوَجَدْتَ جُمْجُمَةً مَرْسومَةً عَلَيْها ، وَلٰكِنَّ صُورَةَ ٱلحَشَرَةِ ٱلَّتي رَسَمْتَها كانَتْ عَلى ٱلوَجْهِ ٱلآخَرِ ٱلَّذي لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ . وَعِنْدَما فَكَّرْتَ في هٰذا ٱلأَمْرِ وَجَدْتَ مِنَ ٱلمَعْقولِ أَنْ أَسْتَنْتِجَ أَنَّ حَرارَةَ ٱلمِدْفَأَةِ هِيَ ٱلَّتي أَظْهَرَتْ صُورَةَ ٱلجُمْجُمَةِ . فَمِنَ ٱلمَعْروفِ أَنَّ هُناكَ بَعْضَ ٱلمَوادِّ ٱلَّتي يُمْكِنُ بِواسِطَتِها أَنْ تَكْتُبَ عَلى ٱلوَرَقِ أَوِ ٱلجِلْدِ بِحَيْثُ لا تَظْهَرُ ٱلكِتابَةُ إِلَّا عِنْدَ تَسْخينِ ٱلمادَّةِ ٱلمَكْتوبِ بِها بِحَيْثُ تَخْتَفي هٰذِهِ ٱلكِتابَةُ عِنْدَ تَبْريدِها وَلٰكِنَّها تُعاوِدُ ٱلظُّهورَ دائِمًا كُلَّما سَخَّنْتَها .

« وَلِكَيْ أَخْتَبِرَ مَدى صِحَّةِ هٰذا ٱلاسْتِنْتاجِ قُمْتُ عَلى ٱلفَوْرِ بِإِشْعالِ ٱلنّارِ في ٱلمِدْفَأَةِ ، وَسَخَّنْتُ قِطْعَةَ ٱلجِلْدِ تَسْخينًا كامِلًا . وَبَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ ظَهَرَتْ في ٱلرُّكْنِ ٱلمُواجِهِ لِصورَةِ ٱلجُمْجُمَةِ صُورَةُ جَدْيٍ أَوْ ماعِزٍ صَغيرٍ (وَيُطْلَقُ عَلى ٱلماعِزِ ٱلصَّغيرِ بِٱللُّغَةِ ٱلإِنْجليزِيَّةِ كَلِمَةُ كِيد Kid) وَلابُدَّ أَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ عَنْ كابْتِن كِيد ٱلمَشْهورِ ، فَأَدْرَكْتُ عَلى ٱلفَوْرِ أَنَّ صُورَةَ ٱلجَدْيِ إِنَّما هِيَ تَوْقيعُ ٱلكابْتِن كِيد نَفْسِهِ . وَمِمَّا جَعَلَني أَقولُ إِنَّها تَوْقيعُهُ أَنَّ مَكانَ ٱلصُّورَةِ في أَسْفَلِ قِطْعَةِ ٱلجِلْدِ عَلى ٱليَمينِ يُوحي بِذٰلِكَ بِدَرَجَةٍ كَبيرَةٍ — كَما أَنَّهُ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ نَعْتَبِرَ ٱلجُمْجُمَةَ ٱلمَرْسومَةَ أَعْلى ٱلقِطْعَةِ خَتْمًا رَسْميًّا . »

سَأَلْتُهُ : « وَلٰكِنْ هَلْ كانَتْ هُناكَ أَيُّ رِسالَةٍ بَيْنَ ٱلخَتْمِ وَٱلتَّوْقيعِ ؟ »

أَجابَ : « لا ، لَمْ تَكُنْ هُناكَ أَيُّ رِسالَةٍ . وَلٰكِنَّ ٱعْتِقادي بِوُجودِ كَنْزٍ مَدْفونٍ في مَكانٍ قَريبٍ حَفَزَني إِلى أَنْ أَسْتَمِرَّ في ٱلتَّجْرِبَةِ دونَ إِبْطاءٍ . فَأَضَفْتُ مَزيدًا مِنَ ٱلخَشَبِ لِنارِ ٱلمِدْفَأَةِ ، وَسَخَّنْتُ بَعْضَ ٱلماءِ ثُمَّ غَسَلْتُ قِطْعَةَ ٱلجِلْدِ بِعِنايَةٍ . فَقَدْ كانَتْ عَلى قِطْعَةِ ٱلجِلْدِ طَبَقَةٌ مِنَ ٱلأَوْساخِ . وَقُلْتُ في نَفْسي إِنَّ هٰذا هُوَ سَبَبُ عَدَمِ ظُهورِ أَيِّ كِتابَةٍ . وَعِنْدَما تَرَكْتُ ٱلقِطْعَةَ لِتَجِفَّ أَخَذْتُ أُفَكِّرُ في كابْتِن كِيد وَٱلكَنْزِ ٱلَّذي قِيلَ إِنَّهُ دَفَنَهُ في مَكانٍ ما على هٰذا ٱلسّاحِلِ . لَقَدْ كانَ قُرْصانًا جَسورًا وَمُوفَّقًا في غاراتِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ بَعْضُ ٱلصِّدْقِ فيما دارَ مِنْ أَقاصيصَ حَوْلَ ثَرْوَتِهِ ٱلمُخَبَّأَةِ لَما ٱسْتَمَرَّتْ تِلْكَ ٱلأَقاصيصُ مُتَداوَلَةً عَلى مَرِّ ٱلزَّمَنِ وَبِدونِ ٱنْقِطاعٍ . وَمِمَّا يَجْدُرُ بِٱلمُلاحَظَةِ أَنَّ كُلَّ هٰذِهِ ٱلقِصَصِ تَدورُ حَوْلَ ٱلبَحْثِ عَنِ ٱلنُّقودِ لا حَوْلَ ٱلعُثورِ عَلَيْها ، وَقَدْ أُوحِيَ

هٰذا لي بِأَنَّ آلدَّهَبَ لا يَزالُ مَدْفونًا . وَقُلْتُ في نَفْسي إِنَّهُ مِنَ ٱلْمُحْتَمَلِ أَنْ تَكونَ حادِثَةٌ ما قَدْ وَقَعَتْ – مِثْلُ فِقْدانِ مُذَكِّرَةٍ مَكْتوبٍ فيها مَكانُ آلكَنْزِ – وَأَنَّ هٰذِهِ آلحادِثَةَ قَدْ حالَتْ دونَ عُثورِ كِيد أَوْ رِفاقِهِ آلقَراصِنَةِ عَلى آلكَنْزِ مَرَّةً ثانِيَةً . نَدَاْتُ في تِلْكَ آللَّحْظَةِ أَشْعُرُ بِأَمَلٍ ، وَإِحْساسٍ أَكيدٍ بِأَنَّ قِطْعَةَ آلجِلْدِ آلَّتي وَجَدْناها بِهٰذِهِ آلمُصادَفَةِ آلغَريبَةِ هِيَ آلوَثيقَةُ آلمَفْقودَةُ آلَّتي تَحْتَوي عَلى وَصْفٍ لِمَكانِ آلكَنْزِ . »

سَأَلْتُهُ : « ماذا فَعَلْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ »

أَجابَ : « وَضَعْتُ قِطْعَةَ آلجِلْدِ في إِناءٍ مِنَ آلصَّفيحِ بِحَيْثُ كانَتْ صورَةُ آلجُمْجُمَةِ وَآلجَدْيِ إِلى أَسْفَلَ ، ثُمَّ وَضَعْتُ آلإِناءَ عَلى آلخَشَبِ آلمُشْتَعِلِ . وَبَعْدَ دَقائِقَ قَليلَةٍ رَفَعْتُ آلإِناءَ مِنْ عَلى آلنّارِ ، وَبَدَأْتُ أَفْحَصُ قِطْعَةَ آلجِلْدِ . وَلَقَدْ أَخَذَني آلسُّرورُ كُلَّ مَأْخَذٍ عِنْدَما وَجَدْتُ عَلَيْها آلرُّموزَ آلَّتي تَراها آلآنَ . »

كانَ لُوعران أَثْناءَ حَديثِهِ قَدْ قامَ بِنَسْخِ قِطْعَةِ آلجِلْدِ وَأَعْطانِيها ، وَرَأَيْتُ آلرُّموزَ آلتّالِيَةَ مَكْتوبَةً بِآلحِبْرِ آلأَحْمَرِ بَيْنَ صورَةِ آلجُمْجُمَةِ وَصورَةِ آلجَدْيِ :

«53 ‡‡†305))6*;4826)4‡);806*;
48†§60))85;1‡);:‡*8†83)88)5*†;
46);88*96*?;8)*‡);485);5*†2:*‡)
;4956*2)5*—4)8§8*;4069285);)6†8
)4‡‡;1)‡9;48081;8:8‡1;48†85;4)4
85†528806*81)‡9;48;)88;4)‡?34;48
)4‡;161;:188;‡?;»

قُلْتُ لَهُ وَأَنا أُعيدُ قِطْعَةَ آلجِلْدِ إِلَيْهِ : « هٰذا أَصْعَبُ مِنْ أَنْ أَفْهَمَ لَهُ مَعْنًى . »

قالَ لُوعران : « وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ آلحَلَّ لَيْسَ صَعْبًا . ذٰلِكَ أَنَّ كِيدًا كَما تَعْرِفُ – لَمْ يَكُنْ في غايَةِ آلذَّكاءِ . إِنَّ لِكُلٍّ مِنْ هٰذِهِ آلأَرْقامِ وَآلرُّموزِ مَعْناهُ ، وَكُنْتُ قَدْ تَدَرَّبْتُ مِنْ قَبْلُ عَلى حَلِّ مِثْلِ هٰذِهِ آلأَلْغازِ مِمّا جَعَلَ مِنَ آلسَّهْلِ عَلَيَّ حَلَّ هٰذا آلأُحْجِيَةِ . فَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُمْتُ بِحَلِّ أَلْغازٍ أُخْرى أَصْعَبَ مِنْ هٰذا آلأُحْجِيَةِ بِأَلْفِ مَرَّةٍ .

« إِنَّ أَوَّلَ سُؤالٍ عَلى آلشَّخْصِ أَنْ يَسْأَلَهُ لِنَفْسِهِ هُوَ : ما آللُّغَةُ آلَّتي كُتِبَتْ بِها هٰذِهِ آلرِّسالَةُ ؟ وَلَمْ تَكُنِ آلإِجابَةُ عَنْ هٰذا آلسُّؤالِ صَعْبَةً بِآلنِّسْبَةِ لِهٰذِهِ آلحالَةِ ، إِذْ إِنَّ رَسْمَ آلجَدْيِ في مَكانِ تَوْقيعِ كِيد يَجْعَلُ مِنَ آلسَّهْلِ عَلَيْنا أَنْ نَقولَ إِنَّ آللُّغَةَ آلمُسْتَخْدَمَةَ هِيَ آللُّغَةُ آلإِنجليزِيَّةُ .

« وَآلخُطْوَةُ آلثّانِيَةُ هِيَ أَنْ يَجِدَ آلرَّقْمَ أَوِ آلرَّمْزَ آلَّذي يَتَكَرَّرُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ في آلرِّسالَةِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ عَلى آلفَوْرِ أَنَّ آلرَّقْمَ 8 هُوَ أَكْثَرُها تَكْرارًا ، وَإِذا كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ هٰذا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعُدَّها بِنَفْسِكَ . وَإِذا رَجَعْنا إِلى آللُّغَةِ آلإِنجليزِيَّةِ وَجَدْنا أَنَّ حَرْفَ e هُوَ أَكْثَرُ آلحُروفِ شُيوعًا . فَلْنَفْتَرِضْ إِذًا أَنَّ آلرَّقْمَ 8 آلَّذي يَتَكَرَّرُ ثَلاثًا وَثَلاثينَ مَرَّةً في رِسالَةِ كِيد هُوَ آلَّذي آسْتُخْدِمَ بَدَلًا مِنَ آلحَرْفِ e ، وَلْنُحاوِلْ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ نَرى هَلْ كانَ آلرَّقْمُ 8 يَظْهَرُ مُزْدَوِجًا ؟ ذٰلِكَ أَنَّ حَرْفَ e كَثيرًا ما يَأْتي مُكَرَّرًا في آللُّغَةِ آلإِنجليزِيَّةِ في عَدَدٍ مِنَ آلكَلِماتِ مِثْلِ :

meet, speed, seen, been, agree,...

« وَنَجِدُ بِفَحْصِنا لِهٰذِهِ آلرِّسالَةِ أَنَّ رَقْمَ 8 يَأْتي مُكَرَّرًا خَمْسَ مَرّاتٍ عَلى آلرَّغْمِ

مِنْ قِصَرِ ٱلرِّسالةِ . وَهٰكَذا يُمْكِنُنا أَنْ نَقولَ ٱلآنَ وَنَحْنُ عَلى يَقيٍ بِأَنَّ ٱلرَّقْم 8 يَرْمُزُ إلى ٱلحَرْفِ e .

« وأَكْثَرُ ٱلكَلِماتِ شُيوعًا في ٱللُّغةِ ٱلإنجليزيَّةِ هِيَ كَلِمةُ The . وَعَلَيْنا ٱلآنَ أَنْ نَبْحَث في ٱلرِّسالةِ لِنَرى هَلْ هُناكَ مَجْموعاتٌ مِنَ ٱلكَلِماتِ مُكَوَّنةٌ مِنْ ثَلاثةِ رُموزٍ آخِرُها ٱلرَّقْمُ 8 عَلى أَنْ يَكونَ تَرْتيبُ هٰذِهِ ٱلرُّموزِ واحِدًا في ٱلكَلِماتِ جَميعِها ؟ وَبَعْدَ شَيْءٍ مِنَ ٱلبَحْثِ نَجِدُ أَنَّ مَجْموعةَ ٱلرُّموزِ (48 ;) تَتَكَرَّرُ بِنَفْسِ هٰذا ٱلتَّرْتيبِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُنا أَنْ نَسْتَنْتِجَ أَنَّ مَجْموعةَ ٱلرُّموزِ (48 ;) تُمَثِّلُ ٱلكَلِمةَ The وَعَلَيْهِ فَإِنَّ ٱلرَّمْزَ (; يُمَثِّلُ حَرْفَ t وَٱلرَّمْزَ 4 يُمَثِّلُ ٱلحَرْفَ h .

« وَلْنَنْظُرِ ٱلآنَ إلى ٱلمَكانِ ٱلَّذي قَبْلَ ٱلأَخيرِ وَتَظْهَرُ فيهِ مَجْموعةُ ٱلرُّموزِ (48 ;) قُرْبَ نِهايةِ ٱلرِّسالةِ . بِإمْكانِنا أَنْ نَحُلَّ هٰذِهِ ٱلرُّموزَ مُسْتَخْدِمينَ ٱلأَحْرُفَ ٱلثَّلاثةَ ٱلَّتي عَرَفْناها حَتَّى ٱلآنَ عَلى ٱلنَّحْوِ ٱلآتي : —

; 48 ;) 88 ; 4

the / t. ee / th

« لَدَيْنا هُنا كَلِمةُ The وَبَعْدَها كَلِمتانِ . وَأَقولُ كَلِمتَيْنِ لِأَنَّهُ لا تُوجَدُ في ٱللُّغةِ ٱلإنجليزيَّةِ كَلِمةٌ تَبْدَأُ بِحَرْفِ t وَتَنْتَهي بِحَرْفَيْ th وَتَكونُ مُكَوَّنةً مِنْ سِتَّةِ حُروفٍ . عِنْدَما تُجَرِّبُ كُلَّ حُروفِ ٱلأَلِفْباء تَجِدُ أَنَّ ٱلحَرْفَ ٱلنَّاقِصَ هُوَ حَرْفُ r ٱلَّذي يُعْطيها كَلِمةَ tree بِمَعْنى شَجَرةٍ . وَهٰكَذا يُمْكِنُ ٱلقَوْلُ أَنَّ ٱلرَّمْزَ (يُشيرُ إلى ٱلحَرْفِ r . وَيُمْكِنُنا أَنْ نَسْتَفيدَ كَذٰلِكَ مِنْ مَجْموعةِ ٱلرُّموزِ

(48 ;) إذا قُمْنا بِفَحْصِ مَجْموعةِ ٱلرُّموزِ ٱلآتيةِ وَٱسْتَبْدَلْنا بِبَعْضِ ٱلرُّموزِ ٱلحُروفَ ٱلَّتي تُمَثِّلُها : —

; 48;) 88; 4)‡? 34 ; 48

the/ tree/ thr...h/ the

« وَيُمْكِنُ ٱلوُصولُ بِسُهولةٍ إلى مَعْرِفةِ أَنَّ ٱلأَحْرُفَ ٱلثَّلاثةَ ٱلنَّاقِصةَ هِيَ oug ٱلمُعْطيا كَلِمةَ through بِمَعْنى خِلالَ أَوْ وَسَطَ ؛ وَهٰكَذا نَكونُ قَدْ تَوَصَّلْنا إلى مَعْرِفةِ ثَلاثةِ أَحْرُفٍ جَديدةٍ هِيَ o u g وَتُمَثِّلُها ; 3? ‡ .

« وواصَلْتُ بَحْثي عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ كَيْ أَصِلَ إلى مَعْرِفةِ ٱلرُّموزِ ٱلمُسْتَخْدَمةِ في باقي ٱلحُروفِ مُسْتَفيدًا كُلَّ ٱلاسْتِفادةِ بِٱلحُروفِ ٱلَّتي أَمْكَنَني مَعْرِفَتُها . فَكَتَبْتُ عَلى سَبيلِ ٱلمِثالِ ٱلمَجْموعةَ : —

†83) 88

.egree

ٱلمَوْجودةَ قُرْبَ بِدايةِ ٱلرِّسالةِ ، وَأَمْكَنَني بِسُهولةٍ أَنْ أَسْتَنْتِجَ أَنَّها تُمَثِّلُ كَلِمةَ degree (دَرَجة) وَبِذٰلِكَ عَرَفْتُ أَنَّ ٱلرَّمْزَ † يَحِلُّ مَحَلَّ ٱلحَرْفِ d .

« لَيْسَ مِنَ ٱلضَّروريِّ أَنْ أَسْتَطْرِدَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذا في إيضاحِ ٱلطَّريقةِ ٱلَّتي ٱسْتَخْدَمْتُها في حَلِّ هٰذِهِ ٱلرِّسالةِ ٱلتَّشْفيريَّةِ . فَقَدْ ذَكَرْتُ ما فيهِ ٱلكِفايةُ لِإيضاحِ ٱلأُسْلوبِ ٱلَّذي يُمْكِنُ ٱسْتِخْدامُهُ لِحَلِّها وَلأُوَضِّحَ لَكَ أَنَّ هٰذا ٱللُّغْزَ بِالذَّاتِ لَمْ يَكُنْ صَعْبًا . وَلٰكِنْ عِنْدَما قُمْتُ بِتَرْجَمةِ رِسالةِ كيد تَرْجَمةً عَمَلِيَّةً كانَ عَلَيَّ أَنْ أَقومَ بِتَصْحيحِ خَطَإٍ أَوْ خَطَأَيْنِ مُسْتَخْدِمًا مَعْرِفَتي بِهٰذِهِ ٱلمِنْطَقةِ . وَإِلَيْكَ تَرْجَمَتي لِلرِّسالةِ : —

« زُجاجةٌ جَيِّدةٌ في قَلْعةِ بِيسْوب بمَقْعَد الشَّيْطانِ – واحِدٌ وَأَرْبعونَ دَرجةً – الشَّمالُ الشَّرْقيُّ وَشَمالًا – الفَرْعُ الرَّئيسيُّ لِلشَّجَرةِ – الطَّرَفُ السَّابِعُ إلى جِهةِ الشَّرْق – اقْذِفْ مِنَ العَيْنِ اليُسْرى لِلْجُمْجُمةِ – حَطَّ مِنَ الشَّجرة إلى مكانِ القَذْف – خَمْسونَ قَدَمًا إلى الخارِج . »

« كُنْتُ قَدْ سمِعْتُ عنْ عائلةٍ باسِمِ بِيسْوب ، وَكانَتْ تِلْكَ العائلةُ مِنْ أَكْبَرِ مُلَّاكِ الأَراضي في تِلْكَ المِنْطَقةِ في الماضي . فَقُمْتُ بِعَمَلِ استِفْساراتٍ دَقيقةٍ بَيْنَ كِبارِ السِّنِّ بتِلْكَ النَّاحيةِ ، وَأَخيرًا قابَلْتُ امرأةً طاعِنةً في السِّنِّ كانَتْ تَقومُ بخِدْمةِ تِلْكَ العائلةِ مُنْذُ عِدَّةِ سِنينَ . وَعَرَفْتُ مِنْها أَنَّها كانَتْ تَسْمَعُ بِالمَكانِ الَّذي يُطْلَقُ عليْهِ اسْمُ القَلْعة ، وَقالَتْ إنَّ في وُسْعِها أَنْ تَقودَني إلَيْهِ ، وَأَضافَتْ إنَّ المَكانَ لَمْ يَكُنْ قَلعةً عَلى الإطْلاقِ بَلْ صَخْرةً عالِيةً .

« وَجَدْنا المكانَ بِدُونِ صُعوبةٍ . وَهُوَ مَجْموعةٌ غَيْرُ مُنْتَظِمةٍ مِنَ المُنْحَدِراتِ الجَبَلِيَّةِ وَالصُّخورِ ، وَكانَتْ إحْدى تِلْكَ الصُّخورِ أَعْلى بِكَثيرٍ مِنَ الصُّخورِ الأُخْرى مِمَّا جَعَلَ شَكْلَها العامَّ يُشْبِهُ بُرْجَ القَلْعةِ . فَتَسَلَّقْتُ تِلْكَ الصَّخْرةَ حَتَّى قِمَّتِها وَجَلَسْتُ هُناكَ أُفَكِّرُ فيما يُمْكِنُ عَمَلُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ .

« وَسَرْعانَ ما وَقَعَتْ عَيْناي عَلى بُروزٍ صَخْريٍّ يَقَعُ عَلى بُعْدِ مِتْرٍ تَحْتَ المَكانِ الَّذي أَجْلِسُ عَلَيْهِ . وَكانَ شَكْلُهُ يُشْبِهُ الكُرْسِيَّ شَبَهًا كامِلًا بِظَهْرِهِ وَمَقْعَدِهِ . وَلَمْ يَبْقَ عِنْدي أَيُّ شَكٍّ أَنَّ هٰذا هُوَ « مَقْعَدُ الشَّيْطانِ » الَّذي جاءَ ذِكْرُهُ في الرِّسالةِ ، فَنَزَلْتُ إلَيْهِ وَوَجَدْتُ أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحيلِ الجُلوسُ عَلَيْهِ إلَّا في وَضْعٍ واحِدٍ مُحَدَّدٍ . وَأَدْرَكْتُ فَجْأَةً السِّرَّ الكامِلَ الَّذي تُشيرُ إلَيْهِ الرِّسالةُ .

« إنَّ عِبارةَ (زُجاجةٌ جَيِّدةٌ) الَّتي بِالرِّسالةِ لا تَعْني زُجاجةَ شَرابٍ أَبَدًا ، « إنَّما تَعْني زُجاجةَ البَخّارِ أَوِ التِّلِسْكوب . وَأَنَّ مِنَ الواجِبِ اسْتِخْدامَ « التِّلِسْكوب وَأَنْتَ جالِسٌ عَلى مَقْعَدِ الشَّيْطانِ في ذٰلِكَ الوَضْعِ الوَحيدِ الَّذي « يُسْمَحُ بِهِ المَقْعَدُ . وَاتَّضَحَ لي أَيْضًا أَنَّ عِبارةَ (واحِدٌ وَأَرْبعونَ دَرَجةً – الشَّمالُ الشَّرْقيُّ وَشَمالًا) إنَّما تَدُلُّ عَلى تَوْجيهاتٍ خاصَّةٍ بِالمَكانِ الَّذي خُقِّقَ « « التِّلِسْكوب . وَرادَتْ هٰذِهِ الاسْتِنْتاجاتُ مِنْ تَوَتُّرِ أَعْصابي ، فَأَسْرَعْتُ إلى البَيْتِ وَأَحْضَرْتُ تِلِسْكوبي ثُمَّ رَجَعْتُ ثانيةً إلى الصَّخْرةِ .

« حَدَّدْتُ زاويةَ الرُّؤْيةِ بِأَقْصى دِقَّةٍ مُمْكِنةٍ مُسْتَخْدِمًا اتِّجاهَ الشَّمْسِ في تِلْكَ السّاعةِ مِنَ النَّهارِ ، وَبَدَأْتُ أُحَرِّكُ التِّلِسْكوبَ بِبُطْءٍ إلى أَعْلى وَإلى أَسْفَلَ . وَأَخيرًا جَذَبَتِ انْتِباهي فُتْحةٌ دائِريَّةٌ في أَعْلى شَجَرةٍ كَبيرةٍ بَعيدةٍ ، وَفي وَسَطِ تِلْكَ الفُتْحةِ رَأَيْتُ شَيْئًا يَميلُ إلى البَياضِ ، وَعِنْدَ ما دَقَّقْتُ النَّظَرَ أَدْرَكْتُ أَنَّ هٰذا الشَّيْءَ ما هُوَ إلَّا جُمْجُمةٌ آدَميَّةٌ .

« لَقَدِ اتَّضَحَ لي كُلُّ شَيْءٍ . وَكانَ عَلَيَّ آنَذاكَ أَنْ أَصِلَ إلى هٰذِهِ الجُمْجُمةِ الَّتي تُوجَدُ في الفَرْعِ الرَّئيسيِّ لِلشَّجَرةِ بِالطَّرَفِ السّابِعِ إلى جِهةِ الشَّرْقِ . وَعَلَيَّ أَنْ أَقْذِفَ أَوْ أُسْقِطَ شَيْئًا مِنَ العَيْنِ اليُسْرى لِلْجُمْجُمةِ إلى الأَرْضِ ، ثُمَّ أَرْسُمَ خَطًّا مِنَ الشَّجَرةِ إلى المَكانِ الَّذي وَقَعَ فيهِ الشَّيْءُ الَّذي أَسْقَطْتُهُ ، ثُمَّ أَتَّجِهَ بِهٰذا الخَطِّ إلى الخارِجِ لِمَسافةِ خَمْسينَ قَدَمًا أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ مِتْرًا وَنِصْفَ المِتْرِ تَقْريبًا . وَقُلْتُ في نَفْسي إنَّهُ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ الكَنْزُ مَدْفونًا تَحْتَ هٰذِهِ النُّقْطةِ .

« فِي ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالِي وَجَدْتُ ٱلشَّجَرَةَ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلصُّعوبةِ ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ
وأَنْتَ تَعْرِفُ باقِيَ ٱلْمُغامَرةِ كَما أَعْرِفُها أَنا . »

قُلْتُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ سَبَبَ ٱلخَطَإِ فِي مُحاوَلَتِنا ٱلأُولى راجِعٌ إِلى عَباءِ حُوبيتر
لَمّا جَعَلَ ٱلحَشَرَةَ تَسْقُطُ مِنَ ٱلعَيْنِ ٱليُمْنى بَدَلًا مِنَ ٱلعَيْنِ ٱليُسْرى . »

قال : « بِالضَّبْطِ ! إِنَّ هٰذا ٱلخَطَأَ جَعَلَنا نَحْفِرُ عَلى بُعْدِ مِتْرَيْنِ تَقْرِيبًا مِنْ
مَكانِ وُجودِ ٱلكَنْزِ . »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، أَنا أُدْرِكُ ذٰلِكَ ، وَٱلآنَ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ ما زالَ يُحَيِّرُنِي .
ما هُوَ فِي رَأْيِكَ سَبَبُ وُجودِ ٱلعِظامِ فِي ٱلحُفْرَةِ ؟ »

أَجابَ : « إِنَّنِي لا أَجِدُ إِلَّا سَبَبًا واحِدًا لِذٰلِكَ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَمِنَ ٱلعَسيرِ أَنْ
يُصَدِّقَ ٱلشَّخْصُ بِوُجودِ مِثْلِ تِلْكَ ٱلقَسْوَةِ . لا بُدَّ أَنَّ كِيدَ ٱستَعانَ بِآخَرِينَ
مِنْ إِخْوانِهِ ٱلكَثَرِ . وَعِنْدَما فَرَغُوا مِنَ ٱلعَمَلِيَّةِ لا بُدَّ أَنَّهُ رَأَى مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَلَّا
يُشارِكَهُ فِي هٰذا ٱلسِّرِّ أَحَدٌ ، وَيَكْفِي لِحِفْظِ ٱلسِّرِّ أَنْ يُطْلِقَ طَلْقَتَيْنِ عَلى ٱلرَّجُلَيْنِ
ٱللَّذَيْنِ هُما مُنْهَمِكانِ فِي عَمَلِهِما بِالحُفْرَةِ . رُبَّما كانَ ٱلأَمْرُ يَحْتاجُ إِلى ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ
طَلْقَةً — مَنْ يَدْرِي ؟ »

اَلمَوْتُ اَلأَحْمَرُ

قَتَلَ « اَلمَوْتُ اَلأَحْمَرُ » آلافَ اَلأَشْخاصِ ، وَلَمْ يَحْدُثْ قَطُّ أَنْ كانَ لِمَرَضٍ مِثْلُ شَراسَتِهِ .

كانَ اَلدَّمُ سِمَتَهُ اَلمُمَيِّزَةَ . فَقَدْ كانَ اَلمُصابُ يَشْعُرُ بِآلامٍ حادَّةٍ ثُمَّ يُعانِي مِنْ إعماءةٍ مُفاجِئَةٍ ، وَتَرِفُ اَلدِّماءُ مِنْ جِلْدِهِ ، وَسَرْعانَ ما يَلْفِظُ أَنْفاسَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ بِضْعِ اَلسّاعَةِ . وَكانَتِ اَلبُقَعُ اَلحَمْراءُ اَلَّتِي تَنْتَشِرُ فِي جِسْمِ اَلمَرِيضِ وَبِخاصَّةٍ عَلى وَجْهِهِ تَحولُ دونَ قِيامِ اَلآخَرِينَ بِتَجْدَتِهِ . وَعِنْدَما تَظْهَرُ تِلْكَ اَلبُقَعُ عَلى اَلمريضِ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَعْنِي ضَياعَ أَيِّ أَمَلٍ فِي شِفائِهِ .

لٰكِنَّ اَلأَمِيرَ بْرُوسْپِرُو كانَ سَعِيدًا وَشُجاعًا وَحَكِيمًا . فَبَعْدَ أَنْ ماتَ نِصْفُ شَعْبِهِ ، دَعا أَلْفًا مِنَ اَللُّوردَاتِ وَكَرائِمِ اَلسَّيِّداتِ اَلَّذِينَ يَتَمَتَّعونَ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ ، وَذَهَبَ مَعَهُمْ لِيَعيشوا جَميعًا فِي قَلْعَةٍ قاصِيَةٍ . كانَتْ مَبانِي اَلقَلْعَةِ اَلضَّخْمَةِ وَالأَراضِي اَلفَسيحَةُ اَلمُحيطَةُ بِها تَقَعُ وَراءَ جُدْرانٍ ضَخْمَةٍ عالِيَةٍ ، وَكانَتْ لِتِلْكَ اَلجُدْرانِ أَبْوابٌ حَديدِيَّةٌ . وَبَعْدَ أَنْ دَخَلوا مِنْ تِلْكَ اَلأَبْوابِ قاموا بِصَهْرِ أَقْفالِها حَتَّى يَتَأَكَّدوا مِنْ أَنَّها لَنْ تُفْتَحَ ثانِيَةً مَهْما كانَ نَوْعُ اَلمَفاتيحِ اَلَّتِي تُسْتَخْدَمُ فِي فَتْحِها .

وَهٰكَذا لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِ أَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ إِلى اَلقَلْعَةِ أَوْ يَخْرُجَ مِنْها . وَكانَ اَلأَميرُ قَدْ أَمَدَّها بِالطَّعامِ اَلكافِي حَتَّى يَظَلَّ هُوَ وَرِجالُهُ اَللُّوردَاتُ هُناكَ بِمَأْمَنٍ مِنَ اَلمَرَضِ اَلخَطِرِ . وَلْيَهْتَمَّ كُلُّ مَنْ هُوَ خارِجَ أَسْوارِ اَلقَلْعَةِ بِنَفْسِهِ ، أَمَّا

بالنِّسْبةِ لَهُ فَقَدْ كانَ مِنَ الحَماقةِ أنْ يَقْلَقَ أوْ تُساوِرَهُ الأفْكارُ وَالهُمومُ . وَكانَ الأميرُ قَدْ أعَدَّ عُدَّتَهُ لِيَحْيا حَياةً مِلْؤُها اللَّذَّةُ وَالبَهْجةُ . فَقَدْ جاءَ إلى القَلْعةِ بِالمُمَثِّلينَ وَعازِفي المُوسيقى ، أمَّا خارِجَها فَقَدْ كانَ هُناكَ « المَوْتُ الأحْمَرُ » .

بَعْدَ أنْ قَضى رِجالُ البَلاطِ خَمْسَةَ أشْهُرٍ أوْ سِتَّةً بِالقَلْعةِ ، وَكانَ المَرَضُ خارِجَها قَدْ بَلَغَ ذُرْوَتَهُ ، دَعا الأميرُ بْروسْپِرُو أصْدِقاءَهُ الألْفَ إلى حَفْلٍ راقِصٍ كَبيرٍ ، وَأُعِدَّتِ التَّرْتيباتُ لِكَيْ يَكونَ هٰذا الحَفْلُ أرْوَعَ احْتِفالاتِ العامِ ، وَأنْ يَقومَ المُشْتَرِكونَ في الرَّقْصِ بِارْتِداءِ الأقْنِعةِ . وَقَدْ أُعِدَّتْ سَبْعُ غُرَفٍ مِنْ أجْمَلِ غُرَفِ القَلْعةِ إعْدادًا خاصًّا لِهٰذِهِ المُناسَبةِ . وَكانَتْ تِلْكَ الغُرَفُ ذاتَ شَكْلٍ غَيْرِ مُنْتَظِمٍ عِنْدَ أحَدِ أرْكانِ المَبْنى ، بِحَيْثُ تَكونُ هُناكَ راوِيَةٌ حادَّةٌ بَيْنَ كُلِّ غُرْفةٍ وَالغُرْفةِ المُجاوِرةِ لَها ، مِمَّا يَجْعَلُ مِنْ غَيْرِ المُمْكِنِ أنْ يَرى الشَّخْصُ أكْثَرَ مِنْ غُرْفةٍ في وَقْتٍ واحِدٍ . وَكانَ طِلاءُ كُلِّ غُرْفةٍ وَأثاثُها وَزَخارِفُها تَخْتَلِفُ عَنِ الغُرَفِ الأُخْرى ، وَكانَتِ النَّوافِذُ مِنَ الزُّجاجِ المُلَوَّنِ الَّذي يُوافِقُ لَوْنَ الغُرْفةِ . وَهٰكَذا كانَتِ الغُرْفةُ الشَّرْقِيَّةُ ذاتَ لَوْنٍ أزْرَقَ ، وَكانَ لَوْنُ نَوافِذِها أزْرَقَ لامِعًا . أمَّا الغُرْفةُ الثَّانِيةُ فَكانَ لَوْنُها أُرْجُوانِيًّا ، وَكَذا كانَ لَوْنُ زُجاجِ نَوافِذِها . وَكانَتِ الغُرْفةُ الثَّالِثةُ خَضْراءَ اللَّوْنِ ، وَالرَّابِعةُ صَفْراءَ ، وَالخامِسةُ بُرْتُقالِيَّةَ اللَّوْنِ ، وَالسَّادِسةُ بَيْضاءَ . أمَّا الغُرْفةُ السَّابِعةُ فَكانَتْ سَوْداءَ اللَّوْنِ . وَلٰكِنَّ نَوافِذَها كانَتْ مِنْ لَوْنٍ مُخْتَلِفٍ . لَقَدْ كانَتِ النَّوافِذَ الوَحيدةَ الَّتي لا يُوافِقُ لَوْنُها لَوْنَ الغُرْفةِ ، فَقَدْ كانَ لَوْنُ الزُّجاجِ هُناكَ أحْمَرَ ... كانَ مِنْ ذٰلِكَ اللَّوْنِ الأحْمَرِ القاني الَّذي هُوَ في حُمْرةِ الدَّمِ .

لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أضْواءٌ أوْ مَصابيحُ بِأيٍّ مِنْ هٰذِهِ الغُرَفِ ، لٰكِنْ أُوقِدَتِ النِّيرانُ خارِجَ النَّوافِذِ الزُّجاجِيَّةِ ، مِمَّا جَعَلَ أشِعَّتَها تَخْتَرِقُ الزُّجاجَ المُلَوَّنَ إلى داخِلِ الغُرْفةِ مُحْدِثةً أشْكالًا وَخَيالاتٍ غَريبةً . أمَّا في الغُرْفةِ السَّوْداءِ فَإنَّ تَأْثيرَ الأضْواءِ المُنْبَعِثةِ مِنَ النِّيرانِ الخارِجِيَّةِ وَالَّتي تَلْمَعُ عَلى الزُّجاجِ الأحْمَرِ كانَ مُرْعِبًا لِلْغايةِ . وَلِهٰذا فَإنَّ القَليلينَ مِنَ المُحْتَفِلينَ هُمُ الَّذينَ كانَ لَهُمْ مِنَ الجُرْأةِ ما يَجْعَلُهُمْ قادِرينَ عَلى دُخولِ تِلْكَ الغُرْفةِ .

كانَ بِتِلْكَ الغُرْفةِ السَّوْداءِ إلى جِوارِ الحائِطِ الغَرْبِيِّ ، ساعةٌ ضَخْمةٌ مِنَ الخَشَبِ الأسْوَدِ . وَكُلَّما حانَ الوَقْتُ الَّذي تَدُقُّ فيهِ تِلْكَ السَّاعةُ كانَتْ تُصْدِرُ صَوْتًا مُوسيقِيًّا واضِحًا عالِيًا وَعَميقًا ، وَلٰكِنَّهُ كانَ مِنَ الغَرابةِ بِدَرَجةٍ تَجْعَلُ المُوسيقِيِّينَ يَتَوَقَّفونَ عَنِ العَزْفِ كَيْ يُنْصِتوا إلَيْهِ . وَهٰكَذا كانَ الرَّقْصُ يَتَوَقَّفُ وَيَحْدُثُ شَيْءٌ مِنَ الهَرْجِ وَالارْتِباكِ في صُفوفِ تِلْكَ الجَماعةِ المَرِحةِ . ثُمَّ إذا ما دَقَّتِ السَّاعةُ دَقَّتَها الأخيرةَ سَرَتْ ضَحْكةٌ خَفيفةٌ بَيْنَ المُحْتَفِلينَ ، وَنَظَرَ المُوسيقِيُّونَ بَعْضُهُمْ إلى البَعْضِ وَتَبَسَّموا وَكَأنَّما يَسْخَرونَ مِنْ حَماقَتِهِمْ ، وَيَقولونَ إنَّهُمْ لَنْ يَسْمَحوا بَعْدَ ذٰلِكَ لِدَقّاتِ السَّاعةِ أنْ تَتَدَخَّلَ وَتُوقِفَ عَزْفَهُمْ في السَّاعةِ التّالِيةِ . وَلٰكِنْ يَحْدُثُ بَعْدَ ساعةٍ أنْ يَتَوَقَّفوا مَرَّةً أُخْرى ، وَأنْ يَكونَ ذٰلِكَ الهَرْجُ وَالارْتِباكُ الَّذي حَدَثَ مِنْ قَبْلُ .

عَلى الرَّغْمِ مِنْ هٰذا كانَ حَفْلًا مَرِحًا . وَكانَتْ مَلابِسُ السَّيِّداتِ تَتَّسِمُ بِالجَمالِ وَالابْتِكارِ ، وَمَلابِسُ الرِّجالِ بِالأَلْوانِ الزّاهِيةِ وَالخَيالِ الجامِحِ . فَقَدْ

كانَ مَظْهَرُ بَعْضِ ٱلرِّجالِ يَبْدو مُرْعِبًا ، وَمَظْهَرُ عَدَدٍ قَليلٍ مِنْهُمْ مُثيرًا لِلاشْمِئْزارِ . وَهٰكَذا كانَ ٱلرَّاقِصونَ وَٱلرَّاقِصاتُ يَجُولونَ هُنا وَهُناكَ في ٱلْغُرَفِ ٱلسَّبْعِ وَكَأَنَّهُمْ أَشْباحٌ في حُلْمٍ . وَكانَتْ حَرَكاتُهُمْ مُتَناغِمَةً مَعَ ٱلْمُوسيقى كَما كانَتْ أَلْوانُهُمْ تَتَغَيَّرُ مِنْ غُرْفَةٍ إِلى غُرْفَةٍ . وَكانَ مِنَ ٱلْمُلاحَظِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتَرِبْ مِنَ ٱلْغُرْفَةِ ٱلسّابِعَةِ — في ٱلْجُزْءِ ٱلأَخيرِ مِنَ ٱللَّيْلِ — إِلّا عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ ٱلْمُحْتَفِلينَ . وَأَخَذَ هٰذا ٱلْعَدَدُ يَتَناقَصُ تَدْريجِيًّا خَوْفًا مِنْ ذٰلِكَ ٱللَّوْنِ ٱلأَسْوَدِ ٱلَّذي كانَتْ تُصيبُهُ أَشِعَّةٌ حَمْراءُ في لَوْنِ ٱلدَّمِ ٱلْقاني .

أَخيرًا بَدَأَتِ ٱلسّاعَةُ ٱلضَّخْمَةُ ٱلْمَوْجودَةُ في تِلْكَ ٱلْغُرْفَةِ تَدُقُّ مُعْلِنَةً مُنْتَصَفَ ٱللَّيْلِ ، فَتَوَقَّفَ ٱلرَّقْصُ كَما سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ وَوَقَفَ ٱلرَّاقِصونَ في أَماكِنِهِمْ مِنْ دُونِ حَراكٍ ، وَسادَ ٱلْجَميعَ شُعورٌ بِعَدَمِ ٱلارْتِياحِ . وَقَبْلَ ٱلدَّقَّةِ ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ كانَ عَدَدٌ مِنَ ٱلرَّاقِصينَ ٱلْيَقِظينَ قَدْ لاحَظوا وُجودَ شَخْصٍ مُتَجَهِّمٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَدْ رَآهُ مِنْ قَبْلُ وَأَحْدَثَ ظُهورُهُ هَمْساتٍ ثُمَّ عَنِ ٱلدَّهْشَةِ وَٱلْكَراهِيَةِ في أَوَّلِ ٱلأَمْرِ ، ثُمَّ ما لَبِثَتْ هٰذِهِ ٱلْهَمْساتُ أَنْ تَحَوَّلَتْ إِلى صَيْحاتٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلاشْمِئْزارِ .

كانَ ذٰلِكَ ٱلْمُتَجَهِّمُ طَويلًا نَحيفًا يَرْتَدي كَفَنًا يُغَطّيهِ مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ إِلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ ، أَمّا ٱلْقِناعُ ٱلَّذي كانَ يُغَطّي وَجْهَهُ فَقَدْ صُبِغَ بِحَيْثُ يَبْدو وَكَأَنَّهُ وَجْهُ مَيِّتٍ .. وَكانَ ٱلْقِناعُ مِنْ دِقَّةِ ٱلصُّنْعِ بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ ٱلتَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْوَجْهِ ٱلْحَقيقِيِّ لِشَخْصٍ مُتَوَفًّى . وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ هٰذا لَمْ يَكُنِ ٱلسَّبَبَ ٱلْحَقيقِيَّ لاعْتِراضِ ٱلْمُحْتَفِلينَ . إِنَّ سَبَبَ كَراهِيَتِهِمْ وَٱشْمِئْزارِهِمْ هُوَ أَنَّ هٰذا ٱلشَّخْصَ ٱلْغَريبَ قَدْ قَلَّدَ ٱلْمَوْتَ ٱلأَحْمَرَ تَقْليدًا كامِلًا — فَقَدْ كانَ رِداؤُهُ مُلَطَّخًا

بِالدِّماءِ ، وَكانَ عَلى وَجْهِهِ كُلِّهِ نِقاطُ ٱلْمَوْتِ ٱلْحَمْراءُ .

عِنْدَما وَقَعَتْ عَيْنا ٱلأَميرِ بْروسْپِرو عَلى ذٰلِكَ ٱلشَّخْصِ ٱلْمُخيفِ ٱلَّذي كانَ يَسيرُ بِخُطُواتٍ بَطيئَةٍ مَهيبَةٍ هُنا وَهُناكَ بَيْنَ ٱلرَّاقِصينَ ٱسْتَشاطَ غَضَبًا ، وَصاحَ في ٱلنُّبَلاءِ ٱلْواقِفينَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ قائِلًا : « مَنْ هُوَ ذٰلِكَ ٱلَّذي يَجْرُؤُ عَلى إِهانَتِنا عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ ؟ أَمْسِكوا بِهِ وَمَزِّقوا ٱلْقِناعَ لِنَرى ذٰلِكَ ٱلشَّخْصَ ٱلَّذي سَوْفَ نُعْدِمُهُ شَنْقًا عِنْدَ طُلوعِ ٱلشَّمْسِ . »

كانَ ٱلأَميرُ واقِفًا في ٱلْغُرْفَةِ ٱلشَّرْقِيَّةِ ٱلزَّرْقاءِ ، وَكانَ حَوْلَهُ جَماعَةٌ مِنْ أَصْدِقائِهِ . وَبَدَأَتْ تِلْكَ ٱلْجَماعَةُ تَتَّجِهُ في أَوَّلِ ٱلأَمْرِ نَحْوَ ذٰلِكَ ٱلشَّخْصِ ٱلْغَريبِ ٱلَّذي كانَ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمْ في تِلْكَ ٱلأَثْناءِ . وَلٰكِنْ لَمْ يَرُقْ أَحَدٌ مِنْهُمْ

في أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ بِهِ . وَهٰكَذا سارَ أَمامَ الأَميرِ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْتَرِضَهُ أَحَدٌ . وَاتَّجَهَ مِنَ الغُرْفَةِ الزَّرْقاءِ إِلَى الأُرْجُوانِيَّةِ ، وَمِنْها إِلَى الخَضْراءِ ثُمَّ الغُرْفَةِ الصَّفْراءِ فَالبُرْتُقالِيَّةِ فَالبَيْضاءِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ لِإِيقافِهِ . جُنَّ جُنُونُ الأَميرِ تْروسْيِرُو وَشَعَرَ بِالخَجَلِ لِإِحْساسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ جُبِنَ عَنْ مُواجَهَتِهِ ، فَاندَفَعَ مُسْرِعًا عَبْرَ الغُرَفِ السِّتِّ وَامْتَشَقَ سَيْفَهُ أَثْناءَ انْدِفاعِهِ ، وَكانَ الشَّخْصُ قَدْ وَصَلَ آنَذاكَ إِلَى الحائِطِ الغَرْبِيِّ لِلْغُرْفَةِ السّابِعَةِ – الغُرْفَةِ السَّوْداءِ – عِنْدَما اسْتَدارَ فَجْأَةً لِمُواجَهَةِ الأَميرِ . أُطْلِقَتْ تِلْكَ صَيْحَةٌ عالِيَةٌ وَسَقَطَ سَيْفُ الأَميرِ عَلَى الأَرْضِ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ سَقَطَ الأَميرُ بْرُوسْپِرُو مَيِّتًا بِجِوارِ سَيْفِهِ .

وَعِنْدَئِذٍ انْدَفَعَ بَعْضُ النُّبَلاءِ – وَقَدْ أَذْكَتْ حَمِيَّتَهُمْ شَجاعَةٌ يائِسَةٌ – وَأَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى الشَّخْصِ الغَريبِ الَّذي وَقَفَ ساكِنًا صامِتًا في ظِلِّ السّاعَةِ الضَّخْمَةِ السَّوْداءِ ، وَأَخَذوا يُمَرِّقونَ قِناعَ المَوْتِ وَالرِّداءَ المُلَطَّخَ بِالدِّماءِ ، وَلٰكِنَّهُمْ تَراجَعوا وَهُمْ يَرْتَعِدونَ مِنَ الخَوْفِ . إِنَّهُمْ لَمْ يَروا جِسْدًا آدَمِيًّا داخِلَ الرِّداءِ وَالقِناعِ – بَلْ كانَ القِناعُ وَالرِّداءُ فارِغَيْنِ .

وَقَدْ عَرَفوا الآنَ أَنَّ الزّائِرَ هُوَ المَوْتُ الأَحْمَرُ . لَقَدْ جاءَ كَاللِّصِّ في ظُلْمَةِ المَساءِ . وَبَدَأَ الرَّاقِصونَ يَتَساقَطونَ لِواحِدٍ تِلْوَ الآخَرِ وَماتوا جَميعًا في غُرْفَةِ اللَّذَّةِ تِلْكَ . وَدَقَّتِ السّاعَةُ السَّوْداءُ دَقَّةً واحِدَةً ثُمَّ تَوَقَّفَتْ ، وَخَمَدَتِ الشُّعْلَةُ اللّاهِبَةُ في الخارِجِ ، وَسادَ الظَّلامُ وَالتَّعَفُّنُ وَالمَوْتُ الأَحْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ .

الدُّوَّامةُ

وَصَلْنا إلى قِمَّةِ أَعْلى صَخْرةٍ ، وَوَقَفْنا نَنْظُرُ إلى الأَمْواجِ الصَّاخِبةِ المُتَلاطِمةِ تَحْتَنا ، وَكُنَّا عَلى ارْتِفاعِ ما يَقْرُبُ مِنْ مِئَتي مِتْرٍ ، فَوْقَ صُخورٍ جُزُرِ لُوفُوتِن بِالنُّرْوِيجِ . وَكانَ الرَّجُلُ العَجوزُ يَلْهَثُ لِما بَدَلَ مِنْ جَهْدٍ ، وَظَلَّ صامِتًا عِدَّةَ دَقائِقَ .

وَأَخيرًا قالَ : « مُنْذُ رَمَيٍ لَيْسَ بِالبَعيدِ ، كانَ في وُسْعي أَنْ أَقودَكَ إلى هٰذا المَكانِ ، مِنْ دُونِ أَنْ أَشْعُرَ بِتَعَبٍ ، وَكَأَنّي في جِفَّةِ أَصْغَرِ أَبْنائي . وَلٰكِنْ لَيْسَ ذٰلِكَ هُوَ حالي الآنَ . إنَّني أَشْعُرُ بِأَنّي مُحَطَّمٌ جَسَديًّا وَمَعْنَويًّا ، فَقَدْ مَرَرْتُ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ بِتَجْرِبةٍ مُفْزِعةٍ لَمْ يَمُرَّ بِها أَحَدٌ غَيْري ، وَكُتِبَتْ لي الحَياةُ كَيْ أَرْوِيَها لِلنّاسِ . لَقَدْ عانَيْتُ — لِمُدَّةِ سِتِّ ساعاتٍ طِوالٍ — مِنْ أَسْوَإِ أَنْواعِ الخَوْفِ الَّذي يُمْكِنُ تَخَيُّلُهُ . وَخِلالَ تِلْكَ السّاعاتِ السِّتِّ أَصْبَحْتُ رَجُلًا عَجوزًا ، وَابْيَضَّ شَعْرُ رَأْسي ، وَوَهَنَتْ أَوْصالي ، وَفارَقَتْني شَجاعَتي . وَقَدْ جِئْتُ بِكَ إلى هُنا كَيْ تُشاهِدَ بِعَيْنَيْكَ مَسْرَحَ آلامي ، وَتَسْمَعَ القِصَّةَ كامِلةً :

« نَحْنُ الآنَ قَريبونَ كُلَّ القُرْبِ مِنْ ساحِلِ النُّرْوِيجِ ، وَيُطْلَقُ عَلى هٰذِهِ الصَّخْرَةِ الَّتي نَقِفُ عَلَيْها اسْمُ هَلْسِّغ ، أَيِ العائِمةُ . اجْلِسِ الآنَ وَانْظُرْ إلى البَحْرِ . »

كانَ تَحْتَنا امْتِدادٌ واسِعٌ داكِنٌ لِلْمُحيطِ ، وَيَكادُ أَنْ يَكونَ سَوادُ اللَّوْنِ عَلى مَرْمى البَصَرِ إلى اليَسارِ وَاليَمينِ عِنْدَ الْتِقاءِ تِلْكَ الصُّخورِ بِالبَحْرِ ، وَفي

غرض البحر كنت أرى جزيرتين ، إحداهما صغيرة قاحلة على بعد تسعة كيلو مترات ؛ والأخرى أصغر منها تحيط بها صخور داكنة اللون على بعد ما يقرب من خمسة كيلو مترات من الشاطئ . وكان هناك شيء غير عادي في صفحة الماء الواقع بين الجزيرة البعيدة والشاطئ ، فقد كانت المياه السريعة الصاخبة تتقاطع في اتجاهات متعددة مع اتجاه الريح وضدها .

قال الرجل العجوز : « إن الجزيرة البعيدة هي جزيرة فورغ ، أما هذه القريبة فهي جزيرة موسكو . هل تسمع شيئا ؟ هل ترى أي تغير في الماء ؟ »

لاحظت أثناء كلام الرجل العجوز صوتا مرتفعا يزداد ارتفاعه تدريجيا وكأنه صوت مئة من طواحين الهواء ، وفي نفس الوقت رأيت أن تحركات البحر تحتها قد بدأت تتغير لتتخذ شكل تيار يتجه ناحية الشرق . ولاحظت وأنا أنظر إلى هذا التيار أن سرعته تزداد بصورة لا تصدق . وفي مدى خمس دقائق أصبح البحر كله حتى جزيرة فورغ في حالة غليان صاخب عنيف ، ولكن أعنف جزء في هذا الصخب كان في المنطقة الواقعة بين جزيرة موسكو والشاطئ . ففي هذه المنطقة كانت الأمواج الثائرة ترتفع وتتسابق وتزأر وتدور في آلاف من الدوائر ، وكانت كل تلك الدوائر أو الدوامات تندفع بسرعة مخيفة نحو الشرق .

لكن المنظر تغير مرة أخرى بعد بضع دقائق . فقد بدأ سطح الماء يهدأ ، واندمجت الدوامات الصغيرة التي كانت منتشرة إلى مسافة بعيدة ، ونتج عن اندماجها ظهور دوامة واحدة — وفجأة رأيت هذه الدوامة الضخمة وقد

اتسعت دائرة كبيرة يزيد قطرها على كيلو متر . وكان يمثل حافة هذه الدوامة إطار عريض من المياه البيضاء . أما الدوامة نفسها فكانت ، إلى أقصى مرمى النظر ، عبارة عن حائط من الماء الأملس اللامع ، الأسود كالحبر ؛ وكان انحدار ذلك الحائط المائي بزاوية قدرها خمس وأربعون درجة . وكان يدور ويدور مرسلا صوتا مخيفا تنشره الريح فتحمله بين الصياح والزئير لا مثيل له على ظهر الأرض .

زلزلت الصخرة التي كنا جالسين عليها زلزالا عنيفا ، فانطحت على الأرض وأمسكت الصخرة بكل قواي .

قلت للرجل العجوز : « هذه لا يمكن أن تكون إلا دوامة المايلستروم الهائلة . »

قال : « هكذا تسمى في بعض الأوقات ، ولكننا نسميها الموسكو ستروم نسبة إلى جزيرة موسكو . »

إن ما قرأته من وصف عادي لهذه الدوامة لم يهيئني لما رأيت . ذلك أن الوصف الذي قدمه جوناس راموس — وقد يكون أحسن وصف ظهر لهذه الظاهرة — هو في الواقع أبعد ما يكون عن الحقيقة . ربما يرجع ذلك إلى أنه لم يشاهدها من قمة هلسم . ومع ذلك فإن بعض التفصيلات التي قدمها راموس لها أهميتها ، إلا أنها لا تعطي فكرة حقيقية عن هذه الأعجوبة .

قال في وصفه : « عندما يأتي المد يسرع التيار على طول الشاطئ من خور

لُوفُوتِن إلى جَزيرةِ مُوسْكُو . وَعِنْدَما يَنْحَسِرُ يُحْدِثُ زَئيرًا لا يُدانيهِ الصَّجيجُ الَّذي يُحْدِثُهُ أَعْنَفُ شَلَّالٍ هادِرٍ ، إِذْ يُسْمَعُ هٰذا الصَّوْتُ عَلى بُعْدِ عِدَّةِ كيلو مِتْراتٍ . وَتَحْدُثُ دُوَّامةٌ ذاتُ اتِّساعٍ وَعُمْقٍ كَبيرَيْنِ ، حَتَّى إِنَّهُ إِذا اقْتَرَبَتْ مِنْها سَفينةٌ كَبيرةٌ فإِنَّها تَجِدُها إِلى مُحيطِها الدَّوَّارِ ثُمَّ تَرْبِلُها إِلى قاعِ البَحْرِ ، وَهُناكَ تَرْتَطِمُ بِالصُّخورِ فَتَتَحَطَّمُ . وَعِنْدَما يَعودُ المَدُّ يَطْفو حُطامُ السَّفينةِ عَلى سَطْحِ الماءِ . وَالفَتْرةُ الَّتي يُصْبِحُ فيها البَحْرُ هادِئًا بَيْنَ المَدِّ وَالجَزْرِ لا تَزيدُ عَنْ رُبْعِ ساعةٍ يَبْدَأُ بَعْدَها الهَيَجانُ مِنْ جَديدٍ بِالتَّدْريجِ . »

إِنَّ هٰذِهِ المُحاوَلةَ الَّتي قامَ بِها جُوناس رامُوس لِوَصْفِ الدُّوَّامةِ عَلى أَنَّها نَتيجةٌ لِلْمَدِّ وَالجَزْرِ مُحاوَلةٌ كانَتْ تَبْدو مَعْقولةً لي عِنْدَما قَرَأْتُها مُنْذُ عِدَّةِ سِنينَ . وَلٰكِنَّها تَبْدو لِيَ الآنَ – وَزَئيرُ الدُّوَّامةِ يُصِمُّ أُذُنَيَّ – مُحاوَلةً غَيْرَ مُقْنِعةٍ عَلى الإِطْلاقِ . وَعِنْدَما نَظَرْتُ إِلى البَحْرِ بَدَأَ ذِهْني يَتَقَبَّلُ ذٰلِكَ التَّفْسيرَ الَّذي قالَ بِهِ كيرْتشَر وَآخَرونَ وَالَّذي يَدَّعونَ فيهِ بِوُجودِ ثَقْبٍ أَوْ شَرْخٍ في قاعِ البَحْرِ ، وَأَنَّ هٰذا الثَّقْبَ أَوِ الشَّرْخَ يَمْتَدُّ داخِلَ الكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ كُلِّها لِيَخْرُجَ مِنَ الطَّرَفِ الآخَرِ في أَحَدِ المُحيطاتِ البَعيدةِ . لَقَدْ ذَكَرْتُ هٰذِهِ الفِكْرةَ لِدَليلي العَجوزِ وَاعْتَبَرْتُها نَوْعًا مِنَ المِزاحِ ، وَلٰكِنَّني دَهِشْتُ عِنْدَما سَمِعْتُهُ يَقولُ إِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يُؤْمِنونَ بِهٰذا الرَّأْيِ عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لا يوافِقُ عَلَيْهِ .

قالَ لي : « لَقَدْ رَأَيْتَ الدُّوَّامةَ الآنَ وَأَخَذْتَ فِكْرةً جَيِّدةً عَنْها . وَإِذا رَحَفْتَ حَوْلَ هٰذِهِ الصُّخْرةِ وَابْتَعَدْتَ بَعْضَ الشَّيْءِ عَنِ الصَّوْتِ فَسَوْفَ أَقُصُّ

عَلَيْكَ قِصَّةً تُرِيكَ أَنِّي أَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ المُوسْكُوسْتروم . »

وانْتَقَلْنا إِلى الجُزْءِ الخَلْفِيِّ مِنَ الصُّخْرةِ ، وَواصَلَ حَديثَهُ قائِلًا : « كُنَّا نَحْنُ الثَّلاثةَ – أَخَوايَ الاثْنانِ وَأَنا – نَمْتَلِكُ مَرْكَبًا شِراعِيًّا حُمولَتُهُ حَوالَى سَبْعينَ طُنًّا ، وَقَدِ اعْتَدْنا أَنْ نُزاوِلَ الصَّيْدَ في المِنْطَقةِ الواقِعةِ وَراءَ جَزيرةِ مُوسْكُو وَنَصِلَ في عَمَلِنا إِلى ما يَقْرُبُ مِنْ جَزيرةِ فُوروْغ .

« كانَ في تِلْكَ المِنْطَقةِ سَمَكٌ وَفيرٌ لِأَنَّ المَناطِقَ الَّتي يَزْدادُ فيها عُنْفُ التَّياراتِ البَحْرِيَّةِ تَكونُ زاخِرةً بِالسَّمَكِ وَلا تَحْتاجُ إِلا إِلى شَيْءٍ مِنَ الشَّجاعةِ . وَكُنَّا نَحْنُ الثَّلاثةَ الوَحيدينَ مِنْ بَيْنِ كُلِّ صَيَّادي لُوفُوتِن الَّذينَ اعْتَدْنا أَنْ نَذْهَبَ بِانْتِظامٍ إِلى تِلْكَ المِنْطَقةِ كَما قُلْتُ لَكَ . أَمَّا الباقُونَ فَكانُوا يَذْهَبونَ إِلى مَناطِقِ الصَّيْدِ المُعْتادةِ الَّتي تَقَعُ بَعيدًا إِلى الجَنوبِ . وَكُنَّا نُخاطِرُ بِالذَّهابِ إِلى مِنْطَقةِ الدُّوَّامةِ لِأَنَّ السَّمَكَ المُمْتازَ الَّذي كُنَّا نَصْطادُهُ كانَ مَوْجودًا بِكَمِّيَّاتٍ وَفيرةٍ حَوْلَ صُخورِ جَزيرةِ مُوسْكُو .

« كانَ مِنْ عادَتِنا أَنْ نُبْحِرَ إِلى الجَزيرةِ في رُبْعِ السَّاعةِ الَّذي يَقَعُ بَيْنَ حَرَكَتَيِ المَدِّ وَالجَزْرِ ، ثُمَّ نَقومُ بِالصَّيْدِ هُناكَ حَتَّى تَأْتِيَ فَتْرةُ الهُدوءِ التَّاليةِ بَعْدَ حَوالَى ستِّ ساعاتٍ ، وَعِنْدَئِذٍ نَقومُ بِرِحْلةِ العَوْدةِ . وَلَمْ نَكُنْ نَبْدَأُ الإِبْحارَ إِلَّا في رِيحٍ طَيِّبةٍ أَثْناءَ رِحْلَتَيِ الذَّهابِ وَالعَوْدةِ . وَلَمْ يَحْدُثْ أَنْ أَحْفَقْنا في حِسابِ الزَّمَنِ حِسابًا دَقيقًا إِلَّا في مَرَّتَيْنِ ، وَفي المَرَّتَيْنِ حَظِينا بِالسَّلامةِ وَالأَمانِ وَنَحْنُ عَلى مَقْرَبةٍ مِنَ الجُزُرِ .

« كُنَّا نَعْتَبِرُ المُوسْكُوسْتروم نَفْسَها دونَ أَنْ يُصيبَنا مَكْروهٌ ، عَلى الرَّغْمِ

مِنْ أَنَّ قَلْبي كانَ يَخْفِقُ بِعُنْفٍ في بَعْضِ الأَحْيانِ عِنْدما كُنّا نَقومُ بِالعُبورِ مُتأَخِّرينَ أَوْ مُتقدِّمينَ بِدَقيقةٍ أَوْ ما يُقارِبُها عَنِ المَوْعِدِ المُحدَّدِ لِفَتْرةِ الهُدوءِ وَكانَ لأَخي الأَكْبَرِ ابْنٌ يَنْقُصُ مِنَ العُمْرِ ثَمانيةَ عَشَرَ عامًا ، كَما كانَ لي ثَلاثةُ أَبْناءٍ . وكانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يُساعِدونا باسْتِخْدامِ المَجاذيفِ في فَتَراتِ الهُدوءِ . ولٰكِنَّنا لَمْ نُفكِّرْ قطُّ في تَعْريضِهِمْ لِلْخَطَرِ الَّذي كُنّا نُقْدِمُ نَحْنُ عَلَيْهِ . ذٰلِكَ أَنَّ الأَمْرَ كانَ جِدَّ خَطيرٍ وَهٰذِهِ هِيَ الحَقيقةُ .

« كانَ ذٰلِكَ مُنْذُ حَوالَى ثَلاثِ سَنَواتٍ ، وبِالتَّحْديدِ في اليَوْمِ العاشِرِ مِنْ يُولْيو سنة — ١٨ عِنْدَما صادَفْنا عِنْدَ هٰذا السّاحِلِ أَعْنَفَ عاصِفةٍ هَبَّتْ عَلَيْنا في حَياتِنا ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الرِّيحَ كانَتْ تَهُبُّ رُخاءً مِنَ الجَنوبِ الشَّرْقِيِّ مُنْذُ الصَّباحِ الباكِرِ حَتّى ساعةٍ مُتأَخِّرةٍ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَلَمْ تَكُنْ في السَّماءِ سَحابةٌ واحِدةٌ . وكُنّا نَحْنُ الثَّلاثةَ — أَخَوايَ وَأَنا — قَدْ عَبَرْنا إِلى الحُزُرِ في حَوالَى السّاعةِ الثّانيةِ بَعْدَ الظُّهْرِ . وبَعْدَ فَتْرةٍ وَجيزةٍ كُنّا قَدْ مَلأْنا القارِبَ بِالسَّمَكِ المُمْتازِ ، وَأَجْمَعْنا أَنَّ السَّمَكَ في ذٰلِكَ اليَوْمِ كانَ أَوْفَرَ مِنْهُ في أَيِّ وَقْتٍ مَضى . وَبَدَأْنا رِحْلةَ العَوْدةِ عِنْدَما كانَتْ ساعَتي تُشيرُ إِلى السّابِعةِ حَتّى نَصِلَ إِلى مَكانِ المُوسْكُوسْتروم وَقْتَ هُدوءِ المَاءِ ، فَقَدْ كُنّا نَعْرِفُ أَنَّ الهُدوءَ سَوْفَ يَحينُ في السّاعةِ الثّامِنةِ مَساءً .

« واصَلْنا إِبْحارَنا بِسُرْعةٍ عالِيةٍ لِفَتْرةٍ مِنَ الزَّمَنِ دونَ أَنْ يَكونَ لَدَيْنا أَيُّ احْتِمالٍ بِأَنَّ شَيْئًا خَطيرًا سَوْفَ يَحْدُثُ . وفَجْأَةً وبِدونِ أَيِّ إِنْذارٍ تَوَقَّفَتِ الرِّيحُ وَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نُحَرِّرَ أَيَّ تَقَدُّمٍ . وفي نَفْسِ الوَقْتِ جاءَتْ وَراءَنا سَحابةٌ

عَريضةٌ نُحاسِيَّةُ اللَّوْنِ تَتَحَرَّكُ بِسُرْعةٍ فائِقةٍ . ولَمْ تَدَعْ لَنا العاصِفةُ وَقْتًا نُفكِّرُ فيه ؛ فَفي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثِ دَقائِقَ كانَتْ قَدْ أَحاطَتْ بِنا وَأَظْلَمَ الجَوُّ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنا أَنْ يَرَى الآخَرَ في المَرْكَبِ .

« مِنَ العَبَثِ أَنْ أُحاوِلَ وَصْفَ تِلْكَ العاصِفةِ ، ذٰلِكَ أَنَّ أَكْبَرَ البَحّارةِ الرُّوَّادِ سِنًّا لَمْ يَشْهَدْ مَثيلًا لَها في حَياتِهِ . فَمُجَرَّدُ هُبوبِها قَذَفَتْ بِأَخي الأَصْغَرِ إِلى البَحْرِ حَيْثُ لَقِيَ حَتْفَهُ . وكانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أَلْقى مَصيرَهُ لَوْ لَمْ أَنْطَحْ وأُمْسِكْ بِحَلْقةٍ حَديديَّةٍ كانَتْ في وَسَطِ المَرْكَبِ .

« عَمَرَنا ماءُ البَحْرِ عِدَّةَ دَقائِقَ كُنْتُ خِلالَها أُمْسِكُ بِأَنْفاسي ، وعِنْدَما أَصْبَحَ مِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ التَّنَفُّسِ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ حَبَسْتُ عَلى رُكْبَتَيَّ مع تَشَبُّثي بِالحَلْقةِ الحَديديَّةِ ، وَبِذٰلِكَ رَفَعْتُ رَأْسي فَوْقَ الماءِ لِأَتَنَفَّسَ . ثُمَّ اهْتَزَّ مَرْكَبُنا الصَّغيرُ كَما يَهْتَزُّ الكَلْبُ عِنْدَ خُروجِهِ مِنَ الماءِ ، وَطَفا عَلى المَوْجِ مَصْورةً جُزَيْئِيَّةً . وَفي اللَّحْظةِ التّالِيةِ شَعَرْتُ بِيَدٍ تُمْسِكُ ذِراعي ، وَكانَ ذٰلِكَ أَخي الأَكْبَرُ وَدَقَّ قَلْبي فَرَحًا بِهِ إِذْ إِنَّني كُنْتُ حَسِبْتُهُ قَدْ غَرِقَ لا مَحالةَ . ولٰكِنْ سُرْعانَ ما تَحَوَّلَ فَرَحي إِلى خَوْفٍ عِنْدَما وَضَعَ فَمَهُ عَلى مَقْرُبةٍ مِنْ أُذُني وَصاحَ بِكَلِمةِ « مُوسْكُوسْتروم » .

« لَيْسَ في وُسْعِ أَحَدٍ أَنْ يُدْرِكَ كَيْفَ كانَتْ مَشاعِري في تِلْكَ اللَّحْظةِ : لَقَدِ ارْتَعَدْتُ مِنْ قِمَّةِ رَأْسي إِلى أَخْمَصِ قَدَمي ، وَكَأَنَّما قَدْ أَصابَتْني أَشَدُّ حُمّى يُمْكِنُ تَخَيُّلُها . لَقَدْ عَرَفْتُ ما كانَتْ تَعْنيهِ تِلْكَ الكَلِمةُ الواحِدةُ ، وَعَرَفْتُ ما يُريدُني أَنْ أُدْرِكَهُ . لَقَدْ كانَتِ الرِّياحُ تَدْفَعُنا رَأْسًا الآنَ نَحْوَ دُوّامةِ

ٱلْمُوسْكُوسْتروم . وَلَيْسَ أَمامَنا ما يُمْكِنُ أَنْ يُنْقِذَنا ٱللّٰهُمَّ إِلَّا إِذا وَصَلْنا إِلَيْها فِي فَتْرَةِ ٱلْهُدوءِ .

« كُنَّا قَدْ فَقَدْنا أَشْرِعَتَنا وَلَمْ تَعُدْ لَنا قُدْرَةٌ عَلَى ٱلسَّيْطَرَةِ عَلَى ٱلْمَرْكَبِ وَنَحْنُ نَنْدَفِعُ بِسُرْعَةٍ وَسْطَ أَمْواجٍ كَٱلْجِبالِ لَمْ أَرَ مَثيلًا لَها طَوالَ حَياتي . وَحَدَثَ شَيْءٌ مِنَ ٱلتَّغَيُّرِ فِي ٱلسَّماءِ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلظَّلامَ كانَ مُطْبِقًا عَلَيْنا مِنْ كُلِّ جانِبٍ . إِنْتابَتْني ٱلْحَيْرَةُ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ ، ثُمَّ ظَهَرَتْ فَوْقَنا مُباشَرَةً دائِرَةٌ وَسْطَ ٱلسُّحُبِ أَظْهَرَتْ لِي ٱلسَّماءَ ٱلزَّرْقاءَ ٱلصّافِيَةَ ، وَظَهَرَ ٱلْبَدْرُ بِنُورِهِ مُنيرًا كُلَّ ما حَوْلَنا . وَلٰكِنْ بالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ ذٰلِكَ ٱلَّذي أَظْهَرَهُ لِي ضَوْءُ ٱلْقَمَرِ .

« حاوَلْتُ آنَذاكَ أَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَ أَخي ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱسْتِطاعَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةً واحِدَةً مِمّا قُلْتُهُ ، لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ حَوْلَنا كانَ قَدْ عَلا عُلُوًّا كَبيرًا لِسَبَبٍ لَمْ أَعْرِفْهُ . حَرَّكَ أَخي رَأْسَهُ وَرَفَعَ سَبّابَتَهُ كَأَنَّما يَقولُ لِي : (إِسْتَمِعْ !) وَلٰكِنَّني لَمْ أَفْهَمْ ما كانَ يَعْنيهِ .

« فَجْأَةً جاءَتْني فِكْرَةٌ مُفْزِعَةٌ ، فَأَخْرَجْتُ ساعَتي وَعَرَفْتُ أَنَّها قَدْ تَوَقَّفَتْ ، وَنَظَرْتُ إِلى عَقارِبِها فِي ضَوْءِ ٱلْقَمَرِ وَأَدْرَكْتُ ٱلسَّبَبَ فِي كُلِّ هٰذا ٱلْهَوْلِ . لَقَدْ تَوَقَّفَتْ ساعَتي عِنْدَ ٱلسّاعَةِ ٱلسّابِعَةِ . صَدَمَتْني تِلْكَ ٱلْحَقيقَةُ ، فَٱنْفَجَرْتُ باكِيًا وَأَنا أُلْقي بِٱلسّاعَةِ إِلى عُرْضِ ٱلْمُحيطِ . لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ سَبَبًا ناجِحًا إِلى ما بَعْدَ فَتْرَةِ ٱلْهُدوءِ ، وَصارَتِ ٱلدَّوّامَةُ آنَذاكَ فِي أَوْجِ عُنْفِها .

« بَعْدَ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ جاءَتْ مَوْجَةٌ عالِيَةٌ فَحَمَلَتْنا مَعَها عالِيًا كَأَنَّما تَذْهَبُ بِنا

إلى عنان السَّماء . ثُمَّ اندفَعْنا بعْدَ ذٰلِكَ إلى أسْفَلَ نَهْوي بسُرْعةٍ جَعلَتْني أشْعُرُ بالغثيان . وَكُنْتُ عنْدما رَفَعَتْنا المَوْجةُ قَدْ نَظَرْتُ مِنْ شاهِقِ نَظْرةً سَريعةً عَلى ما حَوْلي . وَكانَتْ تِلْكَ النَّظْرةُ كافيةً ، فَقَدْ أدْرَكْتُ حَقيقةَ مَوْقِعِنا في لَحْظةٍ واحِدةٍ . إنَّ دُوَّامةَ المُوسْكُوسْتروم عَلى بُعْدِ كيلو مِتْرٍ مِنَّا ، وأعْمصْتُ عَيْنَيَّ وقد اسْتَبَدَّ بي الخَوْفُ بدَرَجةٍ لَمْ يَسْبِقْ أنْ شَعَرْتُ بِها قَطُّ

« بعْدَ ما لا يَزيدُ عَنْ دَقيقَتَيْنِ كُنَّا قَدْ دَخَلْنا ذٰلِكَ الطَّوْقَ الأبْيَضَ العَريضَ الَّذي يُحيطُ بالدُّوَّامةِ ، ودارَ المَرْكَبُ حَوْلَ نَفْسِهِ بِصَفِّ دَوْرةٍ نَحْوَ الدَّاخِلِ ثُمَّ انْطَلَقَ في اتِّجاهِهِ الحَديدِ وَكَأنَّهُ سَهْمٌ يَنْطَلِقُ مِنْ قَوْسِهِ . وَحَفَّتِ الرِّيحُ والأمْواجُ ، وَنعِمَّ زَئيرُ الماءِ لِيُصْبِحَ صَفيرًا عالِيًا ، وَكأنَّهُ صَفيرُ ألْفِ سَفينةٍ بُخاريَّةٍ أرْسلَتْ صَفيرَها دُفْعةً واحِدةً . توقَّعْتُ بِطَبيعةِ الحالِ أنَّنا سَوْفَ نَغوصُ في قاعِ الدُّوَّامةِ بَعْدَ دَقيقةٍ أُخْرى . ولَمْ يَكُنْ في وُسْعِنا أنْ نَنْظُرَ إلى مَرْكَزِ الدُّوَّامةِ بسَبَبِ السُّرْعةِ الهائِلةِ الَّتي كُنَّا نَنْطَلِقُ بِها . وَكانَ المُحيطُ الَّذي حَلْفَناهُ وَراءَنا يَقِفُ الآنَ إلى حابِسا وَكأنَّهُ حائِطٌ هائِلٌ يَحولُ بَيْنَنا وَبَيْنَ النَّظَرِ إلى الأُفُقِ .

« قَرَّرْتُ بَيْني وَبَيْنَ نَفْسي – بَعْدَ أنْ أصْبَحْنا الآنَ فَريسةً في فَمِ المَوْتِ – ألَّا أتَعلَّقَ بأيِّ أمَلٍ . وَعِنْدَما وَصَلْتُ إلى هٰذا القَرارِ بَدَأْتُ أفَكِّرُ في رَوْعةِ المَوْتِ بهٰذِهِ الطَّريقةِ وَقَدْ أحاطَتْ بِنا مِنْ كُلِّ جانِبٍ دَلائِلُ قُدْرةِ اللهِ . رُبَّما اعْتَقَدْتُ أنَّهُ شَيْءٌ أشْبَهُ بالجُنونِ – أوْ أنَّهُ جُنونُ اليَأسِ – وَلٰكِنَّ الرَّغْبةَ الَّتي راوَدَتْني في تِلْكَ اللَّحْظةِ هيَ اكْتِشافُ ما في أعْماقِ هٰذِهِ الدُّوَّامةِ. وَكانَ

ما أحْزَنني كثيرًا هُوَ أنَّني لَنْ أعيشَ بَعْدَ ذٰلِكَ لِأرْوِيَ لِأصْحابي عَلى الشَّاطِئِ تِلْكَ الأسْرارَ الغامِضةَ الَّتي يَكْتُمُها البَحْرُ في أحْشائِهِ وَالَّتي سَوْفَ أطَّلِعُ عَلَيْها .

« مِنَ المُسْتَحيلِ أنْ نَقولَ كَمْ مِنَ المَرَّاتِ دُرْنا حَوْلَ حافةِ الدُّوَّامةِ . لَقَدْ مَكَثْنا حَوالَي السَّاعةَ نَدورُ وَنَدورُ ، وَكُنَّا نَقْتَرِبُ بالتَّدْريجِ مِنَ الطَّرَفِ الدَّاخِليِّ المُفْزِعِ لِذٰلِكَ الطَّوْقِ الأبْيَضِ . وَكانَ الماءُ تَحْتَنا يَنْحَدِرُ بزاويةٍ حادَّةٍ ، وَكُنْتُ طَوالَ هٰذا الوَقْتِ مُتَشَبِّثًا بقُوَّةٍ بالحَلَقةِ الحَديديَّةِ . أمَّا أخي فَقَدْ كانَ في ذٰلِكَ الوَقْتِ في مُؤَخِّرةِ المَرْكَبِ مُمْسِكًا ببرْميلٍ فارِغٍ صَغيرٍ كانَ مَرْبوطًا بالمَرْكَبِ رَبْطًا مُحْكَمًا . وَكانَ ذٰلِكَ البرْميلُ الشَّيْءَ الوَحيدَ الَّذي لَمْ تَعْصِفْ بِهِ الرِّياحُ عِنْدَما داهَمَتْنا أوَّلَ مَرَّةٍ . وَفي دَوْرَتِنا الأخيرةِ حَوْلَ حافةِ

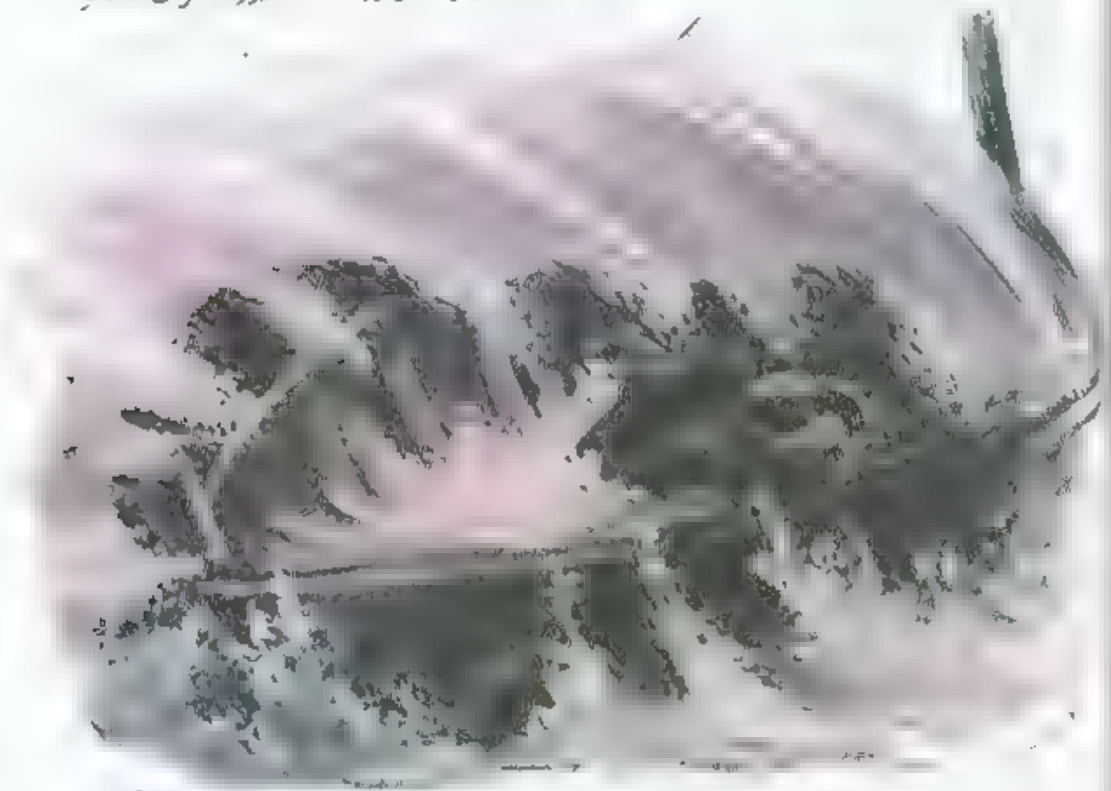

الدُّوَّامة ، قَبْل أَنْ يَهْبط مَرْكَبًا إلى وسَطِها ، انْدفع أخي نَحْوي والخَوْفُ يَعْصِرُهُ — خَوْف مَنْ أُصيبَ بالجُمود — وَفكَّ يَدَيَّ مِنَ الحَلْقةِ لِيُمْسِكَ هوَ بها . ولَمْ أَشْعُرْ بحُزْنٍ كذلكَ الحُزْنِ الَّذي شَعَرْتُ بِهِ عِنْدما حَدث هٰذا مِنْ أخي ، رغْم أنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ عَمَلهُ هٰذا لَنْ يُقدِّمَ أَوْ يُؤَخِّر ؛ فَتَرَكْتُ لَهُ الحَلْقَةَ لِيُمْسِكَ بِها وَدهَشْتُ أنا إلى البَرْمِيلِ . وما إنْ أَمْسَكْتُ بالبَرْمِيلِ حَتَّى دارَ المَرْكَبُ دَوْرَةً عَمِيقةً نحْوَ الدَّاخِل ، وَانْدفع مَعَ المياه الدَّوَّارة في الجُزْءِ الأَسْفَلِ مِنَ الدُّوَّامة . وعِنْدَئِذٍ دعَوْتُ اللهَ بِدُعاءٍ قَصيرٍ وَقُلْتُ في نَفْسي لَقَدِ انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ .

« عِنْدَما شَعَرْتُ بالدَّوَرانِ الخَفيِّ المُرْعِبِ ازْدَدْتُ تَشَبُّثًا بالبَرْمِيلِ ، وأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ ولَمْ أَجْسُرْ على فَتْحِهِما لِبَضْعِ ثَوانٍ ، فقدْ كُنْتُ أَتَوقَّعُ النِّهايةَ عَلى الفَوْرِ ، وتَعَجَّبْتُ لِماذا لَمْ أَكُنْ حَتَّى الآنَ في صِراعِ المَوْتِ مَعَ المَاءِ . ومَرَّتْ دَقيقةٌ وَأنا ما زِلْتُ حَيًّا . وعِنْدما زال عَنِّي الشُّعورُ بالسُّقوطِ إلى الهاوية تَجاسَرْتُ وَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ .

« لَنْ أَنْسى طَوالَ حَياتي ذٰلِكَ المَنْظَرَ الَّذي رأَيْتُهُ . لَقَدْ بَدا لي أَنَّ المَرْكَبَ مُعلَّقٌ في النِّصْفِ الدَّاخِلِيِّ لِحُفْرةٍ دائِرِيَّةٍ على شَكْلِ قِمعٍ قُطْرُهُ أَقَلُّ مِنْ كِيلُو مترٍ وَعُمْقُهُ ساحِقٌ . وَكانَتْ جُدْرانُ تِلْكَ الحُفْرةِ مِنَ المَاءِ الأَسْوَدِ الأَمْلَسِ كالأَبنوسِ اللَّامِعِ ، وكانَتْ تَدورُ وتَدورُ بِسُرْعةٍ مُفْزِعةٍ . وكانَ ضَوْءُ القَمَرِ يَنْسابُ في رَوْعَتِهِ عَلى تِلْكَ الجُدْرانِ وَإلى الجُزْءِ السُّفْلِيِّ مِنْها حَتَّى قاعِ المُحيطِ .

« كانَ في أَوَّلِ الأَمْرِ مِنَ الارْتِباكِ بِحَيْثُ لَمْ أُلاحِظْ إلَّا المَنْظَرَ العامَّ لِما حَوْلي — بَعْدَ مُرورِ دَقيقةٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ لاحَظْتُ أَنَّ زاوِيةَ انْحِدارِ الماءِ كانَتْ حَوالي خَمْسٍ وأَرْبَعينَ دَرَجةً وَأَنَّ المَرْكَبَ كانَ مُسْتَوِيًا على الماءِ في وَضْعِهِ العادِيِّ ولَمْ أَجِدْ صُعوبةً في أَنْ أُحافِظَ على مَوْضِعِ قَدَمَيَّ ، إذْ إنَّ سُرْعةَ الدَّوَرانِ كانَتْ هائِلةً .

« كانَ انْزِلاقُنا أَوَّلَ مَرَّةٍ نَحْوَ الدُّوَّامةِ قَدْ دَفَعَنا — كما سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ — إلى حَوالي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ نَحْوَ الهاوِيةِ . ولٰكِنَّ وُصولَنا إلَيْها بَعْدَ ذٰلِكَ أَصْبَحَ أَكْثَرَ بُطْئًا إذْ أَخَذْنا نَدورُ وَنَدورُ وفي كُلِّ دَوْرةٍ كُنَّا نَنْزِلُ مِتْرًا أَوْ ما يُقارِبُهُ .

« لَقَدْ أُتيحَ لي ذٰلِكَ فُرْصةً لأَنْ أَنْظُرَ حَوْلي فَأَدْهَشَني أَنْ أَرى أَنَّ مَرْكَبَنا لَمْ يَكُنِ الشَّيْءَ الوَحيدَ الَّذي يَتَحَرَّكُ عَلى صَفْحةِ الدُّوَّامةِ . فقدْ كانَ في وُسْعي أَنْ أَرى فَوْقَنا وَتَحْتَنا بَعْضَ حُطامِ السُّفُنِ وَجُذوعَ الأَشْجارِ وَأَشْياءَ صَغيرةً مِثْلَ الصَّناديقِ وَالبَراميلِ وَالعِصِيِّ . لا بُدَّ أَنِّي لَمْ أَكُنْ في وَعْيي الكامِلِ في ذٰلِكَ الوَقْتِ ، إذْ إنِّي كُنْتُ أَتَسَلَّى وأنا أَتَخَيَّرُ المَوْتَ — بِمُحاوَلةِ تَخْمينِ أَيِّ الأَشْياءِ هي تِلْكَ الَّتي جاءَ عَلَيْها الدَّوْرُ لأَنْ تَذْهَبَ إلى القاعِ .

« وقُلْتُ في نَفْسي ذاتَ مَرَّةٍ : (لا بُدَّ أَنَّ كُتْلةَ الخَشَبِ تِلْكَ هي الَّتي جاءَ دَوْرُها لِكَيْ تَخْتَفي .) وَلٰكِنْ خابَ ظَنِّي عِنْدَما رأَيْتُ حُطامَ إِحْدى السُّفُنِ التِّجارِيَّةِ يَسْبِقُها إلى قاعِ البَحْرِ . وَقَدْ وَقَعْتُ في عِدَّةِ أَخْطاءٍ مِنْ هٰذا النَّوْعِ قَبْلَ أَنْ تَهْبِطَ عَلَيَّ فِكْرةٌ ... فِكْرةٌ جَعَلَتْ أَطْرافي تَرْتَعِدُ ثانِيةً ، وقَلْبي يَدُقُّ بِعُنْفٍ مَرَّةً أُخْرى .

« لَمْ يَكُنْ ما أَلْهب مشاعِري خوْفًا مِنْ نوْعٍ جديدٍ ، بلْ كان ميلاد أمَلٍ مُثيرٍ . كان لأُحْطاتي في التَّحْمين مَعْنًى واحدٌ : إنَّ الشَّيْءَ الكبير كان يقومُ برِحْلة آهاوية بسُرْعةٍ أكْبر من الشَّيْءِ الصَّغيرِ . وبدا لي وأنا أنْظُرُ إلى الأشْياء الطَّافية أنَّ عدَدًا كبيرًا من الأجْسامِ الصَّغيرة الحجْم لنْ تصل إلى مرْكز الدَّوّامة أبدًا ، وأنَّ حركة المدِّ ستتغيَّر وتهْدأ الدَّوّامةُ قبْل أنْ تغوصَ تِلْك الأجْسامُ إلى القاعِ . وعِنْدئذٍ سوْف تظلُّ طافية على السَّطْح ويَحْميها التَّيّارُ إلى حَيْثُ يَشاءُ

« وأثْناءَ تفْكيري في هذِهِ الطَّاهِرةِ لاحَظْتُ أنَّ جِذْعَ شَجَرة قصرًا وسمِيكًا كان في مُحاذاتِنا مِنْ قبْلُ ، ولكنَّهُ الآن أعْلى منَّا بكثيرٍ وأنَّنا كُلَّما مرَرْنا بِهِ ازْدادَت المسافةُ بيْنَنا اتِّساعًا . لمْ أتَرَدَّدْ أكْثَر مِنْ ذلك بلْ قرَّرْتُ أنْ أرْبط نفْسي إلى البرْميلِ الَّذي كُنْتُ ممْسِكًا به ثُمَّ أفْكُّ وِثاقهُ من المرْكب ، وألْقي بِنَفْسي مَعَهُ إلى الماءِ .

« وحاوَلْتُ قدْرَ إمْكاني أنْ أشْرح هذه الخُطَّة لأخي مُسْتعْملًا الإشارات وكُنْتُ أثْناءَ شرْحي لهُ أشيرُ إلى كُتَلِ الخشَبِ الَّتي اقْتربْتُ منْها . وأعْتقِدُ أنَّهُ فهِم ما أُريدُ قوْلهُ ولكِنْ سواءٌ أكان قدْ فهِمَ حقيقةً أمْ لا ، فإنَّهُ حرَّكَ رأْسَهُ رافِضًا في يأْسٍ وأبى أنْ يُغادِر مكانهُ بِجوارِ الحلقةِ الحديديَّة . لقدْ كان الأمْرُ آنذاكَ في حاجةٍ إلى تصرُّفٍ سريعٍ ، ولَمْ يكُنْ في وُسْعي أنْ أتأخَّر فتركْتُ أخي لِمصيرِهِ على الرَّغْمِ مِنّي ، ثُمَّ قُمْتُ بربْطِ نفْسي إلى البرْميلِ مُسْتخْدِمًا الحبْلَ الَّذي يرْبطُ البرْميلَ بالمرْكبِ ، وانْدفعْتُ نحْوَ البحْرِ دونَ أيِّ تردُّدٍ .

« كانتِ النَّتيجةُ كما توقَّعْتُ تمامًا . وبما أنِّي أقُصُّ عليْكَ الآنَ هذِهِ القصَّةَ فيُمْكِنُكَ أنْ ترى أنِّي قدْ نجَوْتُ بالطريقةِ الَّتي وصَفْتُها . ففي السَّاعةِ التَّاليةِ كانَ مرْكبُنا قدْ هبطَ نحْوَ مرْكزِ الدَّوّامةِ بمسافةٍ أكْبرَ بكثيرٍ منَ المسافةِ الَّتي هبطْتُ بها . وقدْ رأيْتُ مرْكبَنا يقومُ بثلاثِ لفَّاتٍ سريعةٍ أوْ أرْبعٍ ، ثُمَّ بعوصُ فجْأةً وإلى الأبدِ حامِلًا أخي المحْبوبَ إلى المياهِ الغاضِبةِ في قاعِ الدَّوّامةِ . أمَّا البرْميلُ الَّذي كُنْتُ مرْبوطًا فيهِ فلَمْ يهْبطْ إلَّا نِصْفَ المسافةِ ، ثُمَّ حدَثَ تغيُّرٌ كبيرٌ في المِنْطقةِ المُحيطةِ بي ، إذْ أخذَتْ زاويةُ انْحِدارِ الماءِ في

ٱلدُّوَّامةِ تَقِلُّ تَدْرِيجيًّا ، وَبَدأتْ حَرَكةُ ٱلدُّوَّامةِ ٱلدَّائِرِيَّةُ تَجِفُّ جِدًّا ، وَبَدا لي أنَّ مَرْكَزَ ٱلدُّوَّامةِ قدْ بَدأ يَرْتَفِعُ . أمَّا ٱلسَّماءُ فَقَدْ صَفَتْ ، وَٱلرِّياحُ قَدْ هَدأتْ ، وَكانَ ٱلبَدْرُ قَدْ أوْشَكَ عَلى ٱلغُروبِ عِنْدَما طَفَوْتُ عَلى سَطْحِ ٱلمُحيطِ . لَقَدْ كُنْتُ فَوْقَ ٱلمَكانِ ٱلَّذي ٱحْتَلَّتْهُ ٱلدُّوَّامةُ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أنَّهُ كانَ ٱلوَقْتَ ٱلَّذي تَهْدأُ فيهِ ٱلدُّوَّامةُ إلَّا أنَّ ٱلمَوْجَ كانَ عاليًا بِسَبَبِ ٱلعاصِفةِ .

« وَبَعْدَ فَتْرةٍ حَمَلَني ٱلتَّيَّارُ ٱلسَّريعُ نَحْوَ ٱلشَّاطِئِ في مِنْطَقةِ ٱلصَّيْدِ ٱلجَنوبِيَّةِ ، وَهُناكَ ٱلْتَقَطَني مَرْكَبُ صَيْدٍ ، وَكانَ بَحَّارَتُهُ مِنْ أصْدِقائي في لُوفُوتِن . وَلٰكِنْ لَمْ يَعْرِفْني أيُّ واحِدٍ مِنْهُمْ لِأنَّ شَعْرِيَ ٱلَّذي كانَ أسْوَدَ ٱللَّوْنِ في ٱلْيَوْمِ ٱلماضي قَدِ ٱبْيَضَّ كُلُّهُ كَما تَراهُ ٱلآنَ . وَمَكَثْتُ فَتْرةً لا أقْوى عَلى ٱلكَلامِ رَغْمَ أنَّ ٱلخَطَرَ قَدْ زالَ بِسَبَبِ ٱلتَّجْرِبةِ ٱلمَريرةِ ٱلَّتي مَرَّتْ بي .

« ثُمَّ أخْبَرْتُهُمْ بِقِصَّتي في ٱلنِّهايةِ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقوها . وَهٰأنَذا أُخْبِرُكَ بِها وَلا أتَوَقَّعُ مِنْكَ أنْ تَكونَ أكْثَرَ تَصْديقًا مِنْهُمْ . »

انْهِيارُ بَيْتِ « أُشَر »

سافَرْتُ وَحْدي مُمْتَطِيًا جَوادي مُيَمِّمًا شَطْرَ « بَيْتِ أُشَر » ، وَكانَ سَفَري في يَوْمٍ كَئيبٍ مِنْ أيَّامِ ٱلخَريفِ . وَعِنْدَما ٱقْتَرَبْتُ مِنَ ٱلمَكانِ شَعَرْتُ بِٱنْقِباضٍ ، وَٱزْدادَ هٰذا ٱلشُّعورُ وَكَأنَّما كانَ يَتَجاوَبُ مَعَ تِلْكَ ٱلسَّماءِ ٱلغائِمةِ ٱلمُظْلِمةِ فَوْقي ، وَمَعَ تِلْكَ ٱلجُدْرانِ ٱلبارِدةِ ٱلرَّماديَّةِ أمامي . وَلَمْ أعْرِفْ سَبَبًا لِشُعورِ ٱلِٱنْقِباضِ هٰذا ما لَمْ يَكُنْ نَتيجةً لِمَظْهَرِ ٱلبَيْتِ ٱلقَديمِ ٱلمُتَداعي وَٱلمِنْطَقةِ ٱلمُحيطةِ بِهِ . لَقَدْ كانَتْ نَوافِذُ ٱلبَيْتِ ٱلكَبيرةُ ٱلسَّوْداءُ تَبْدو أمامي وَكأنَّها أعْيُنٌ سَوْداءُ في وَجْهٍ خالٍ مِنْ أيِّ شَيْءٍ سِواها . وَكانَتِ ٱلجُذوعُ ٱلبَيْضاءُ لِأشْجارٍ خالِيةٍ مِنَ ٱلحَياةِ تُحيطُ بِبُحَيْرةٍ سَكَنَتْ مِياهُها . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلمِياهُ ٱلسّاكِنةُ تَعْكِسُ ٱلمَنْظَرَ ٱلمُحيطَ بِها فَتَبْدو ٱلصُّورةُ أكْثَرَ كَآبةً مِنَ ٱلحَقيقةِ . وَأخيرًا تَخَلَّيْتُ عَنْ مُحاوَلةِ مَعْرِفةِ سَبَبِ ٱنْقِباضي وَتَرَكْتُ ٱلبُحَيْرةَ مُتَّجِهًا نَحْوَ ٱلبَيْتِ .

كانَ رُودْريك أُشَر – صاحِبُ ٱلبَيْتِ – أقْرَبَ أصْدِقاءِ ٱلطُّفولةِ إلى نَفْسي ، وَلٰكِنَّ لِقاءَنا ٱلأخيرَ كانَ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ . وَكانَ قَدْ أرْسَلَ إلَيَّ أخيرًا دَعْوةً عاجِلةً لِأقومَ بِزِيارَتِهِ ، بَلْ إنَّهُ في ٱلحَقيقةِ قَدْ رَجاني أنْ أمْكُثَ عِنْدَهُ عِدَّةَ أسابيعَ . وَقالَ لي في خِطابِهِ إنَّهُ كانَ يُعاني مِنْ مَرَضٍ شَديدٍ ؛ مَرَضٍ في أعْصابِهِ ، وَإنَّ صُحْبَتي لَهُ سَوْفَ تُدْخِلُ ٱلبَهْجةَ إلى نَفْسِهِ ، وَتُهَدِّئُ مِنْ أفْكارِهِ ٱلمُضْطَرِبةِ . وَشَعَرْتُ مِنْ خِطابِهِ أنَّهُ صادِقٌ في كُلِّ ما قالَهُ ، فَلَمْ أتَرَدَّدْ في تَلْبِيَةِ دَعْوَتِهِ . وَهٰأنَذا أمامَ بَيْتِ أُشَر .

على الرَّغْمِ مِنْ صَداقَتِنا الحَميمةِ خِلالَ فَتْرةِ الطُّفولةِ فإنَّ مَعْلوماتي عَنْهُ كانَتْ قَليلةً . لَقَدْ تَذكَّرْتُ أنَّهُ عالِيًا ما كانَ هادِئًا مُنْزَوِيًا ، وَأنَّ عائِلَتَهُ العَريقةَ عُرِفَ أفْرادُها بِخَيالِهِمِ المُمَيَّزِ ، وَأنَّ تِلْكَ الظَّاهِرةَ قَدْ تَحَلَّتْ في صُورةِ أعْمالٍ فَنِّيَّةٍ وَمُوسيقِيَّةٍ عَظيمةٍ وَعَديدةٍ . وَكُنْتُ أعْرِفُ كَذٰلِكَ تِلْكَ الحَقيقةَ العَرَبيةَ عَنِ العائِلةِ ، أعْني بِها أنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَها أيُّ فُروعٍ وَأنَّ تَسَلْسُلَ أفْرادِها كانَ مُباشِرًا ، وَلِهٰذا فإنَّ اسْمَ العائِلةِ وَمُمْتَلَكاتِها كانَتْ تَنْتَقِلُ مِنَ الأبِ لِلابْنِ مِنْ دُونِ انْقِطاعٍ . وَلِهٰذا فإنَّ كَلِمةَ بَيْتٍ أشَرٍ ، لَمْ تَكُنْ تَعْني المَنْزِلَ وَالأرْضَ فَحَسْبُ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ تَعْني كَذٰلِكَ تِلْكَ العائِلةَ الوَحيدةَ الَّتي تَعيشُ بِالبَيْتِ .

عِنْدَما اقْتَرَبْتُ مِنَ البَيْتِ الرَّماديِّ الضَّخْمِ تَوَهَّمْتُ شَيْئًا غَريبًا : لَقَدْ خُيِّلَ إلَيَّ أنَّ الهَواءَ الَّذي يُحيطُ بِالبَيْتِ كانَ مُخْتَلِفًا عَنْ باقي الهَواءِ الَّذي خَلَقَهُ اللّٰهُ . وَظَنَنْتُ أنَّ السَّبَبَ في ذٰلِكَ هُوَ تِلْكَ الأشْجارُ الذَّابِلةُ وَالجُدْرانُ الرَّماديَّةُ وَالبُحَيْرةُ السَّاكِنةُ . بَلْ خُيِّلَ إلَيَّ أنَّ الهَواءَ نَفْسَهُ رَماديٌّ وَأنَّهُ يُحيطُ بِالمَكانِ كَالسَّحابِ . وَلَمْ أتَخَلَّصْ مِنْ وَهْمي هٰذا إلَّا بِصُعوبةٍ .

وَعِنْدَما دَنَوْتُ مِنَ البَيْتِ وَرَأيْتُهُ بِوُضوحٍ ظَهَرَ أنَّ البَيْتَ قَديمٌ لِلْغايةِ — فَقَدْ كانَ البِناءُ ما يَزالُ كامِلًا فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْهُ أيُّ جُزْءٍ ، وَلٰكِنَّ كُلَّ حَجَرٍ مِنْ أحْجارِهِ كانَ كَبَقايا حَجَرٍ سَحَقَتْهُ الأعْوامُ . وَلَمْ يَظْهَرْ بِالبَيْتِ

مظهرٌ آخرُ مِنْ مظاهرِ الضَّعْفِ باسْتِثناءِ شَرْخٍ طَويلٍ ضَيِّقٍ يَمْتَدُّ مِنْ سَقْفِ البَيْتِ عِنْدَ الواجهةِ حتَّى مُسْتوى الأَرْضِ .

أَخَذَ أَحَدُ الخَدَمِ حِصاني ثُمَّ دَخَلْتُ المَمَرَّ المُوَصِّلَ لِلْقاعةِ .. وَبَعْدَ ذٰلِكَ قادَني آخَرُ في سُكونٍ عَبْرَ العَديدِ مِنَ المَمَرّاتِ المُلْتَوِيةِ المُظْلِمةِ لِيَصِلَ بي إلى غُرْفةِ سَيِّدِهِ . وَكانَ لِمُعْظَمِ ما رَأَيْتُهُ وَأَنا في الغُرْفةِ أَثَرٌ غَريبٌ في نَفْسي ، رَغْمَ أَنّي كُنْتُ مُعْتادًا طَوالَ حَياتي عَلى رُؤْيةِ ما رَأَيْتُ مِنْ أَسْقُفٍ مُزَرْكَشةٍ وَسَتائِرَ سَميكةٍ وَدُروعٍ وَأَسْلِحةٍ قَديمةٍ وَصُفوفٍ مِنَ الصُّوَرِ . وَقَدْ قابَلْتُ طَبيبَ العائِلةِ وَأَنا أَصْعَدُ الدَّرَجَ ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ مَظاهِرُ الحَيْرةِ وَالخَوْفِ عِنْدَما رَآني .

عِنْدَما وَصَلْتُ في النِّهايةِ إلى غُرْفةِ مُضيفي أَلْفَيْتُها حُجْرةً واسِعةً مُظْلِمةً ذاتَ سَقْفٍ مُرْتَفِعٍ ، وَمُزْدَحِمةً بِالأَثاثِ القَديمِ . وَكانَتْ عِدَّةُ كُتُبٍ وَآلاتٍ مُوسيقِيَّةٍ مُبَعْثَرةً هُنا وَهُناكَ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَبْعَثْ شَيْئًا مِنَ الحَياةِ في المَنْظَرِ العامِّ لِلْغُرْفةِ . وَشَعَرْتُ أَنّي أَتَنَفَّسُ هَواءً مُشَبَّعًا بِالحُزْنِ .

رَحَّبَ بي أَشَرٌ بِحَرارةٍ ثُمَّ جَلَسْنا ، وَأَخَذْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ لِلَحَظاتٍ وَالشَّفَقةُ تَمْلَأُ جَوانِحي . لَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ التَّغْييرَ الَّذي لَحِقَ بِهِ لَمْ يَحْدُثْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ في مِثْلِ هٰذِهِ الفَتْرةِ الوَجيزةِ . لَقَدْ كانَ دائِمًا شاحِبَ الوَجْهِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ في مِثْلِ هٰذا الشُّحُوبِ . إِنَّ عَيْنَيْهِ الواسِعَتَيْنِ اللّامِعَتَيْنِ قَدْ أَصْبَحَتا الآنَ أَكْثَرَ اتِّساعًا وَبِصُورةٍ غَيْرِ طَبيعِيَّةٍ ، كَما ازْدادَ لَمَعانُهُما بِدَرَجةٍ مُذْهِلةٍ . وَأَصْبَحَتْ شَفَتاهُ مُجَرَّدَ خَطَّيْنِ مَرْسُومَيْنِ عَلى وَجْهِهِ ، أَمّا شَعْرُهُ الجَميلُ النّاعِمُ فَهُوَ الآنَ أَشْعَثُ غَيْرُ مُهَذَّبٍ يَطْفو في غَيْرِ نِظامٍ عَلى وَجْهِهِ وَرَقَبَتِهِ .

وَتَغَيَّرَتْ تَصَرُّفاتُ صَديقي كَذٰلِكَ بِدَرَجةٍ لا تَقِلُّ غَرابةً . لَقَدْ كانَ طَوالَ الوَقْتِ إِمّا في حالةٍ مِنَ التَّوَتُّرِ الشَّديدِ أَوِ القَلَقِ العَنيفِ . وَبِانْتِقالِهِ سَريعًا مِنْ حالةٍ إلى أُخْرى كانَ صَوْتُهُ يَتَغَيَّرُ فَجْأَةً بِحَيْثُ تَتَحَوَّلُ النَّبْرةُ الهادِئةُ المُرْتَفِعةُ إلى صَوْتٍ ثابِتٍ مُتَأَنٍّ وَكَأَنَّهُ صَوْتُ شَخْصٍ قَدْ أُسْرِفَ في الشَّرابِ .

وَبِهٰذا الأُسْلوبِ تَحَدَّثَ عَنْ زِيارَتي ، وَعَنْ رَغْبَتِهِ الصّادِقةِ في رُؤْيَتي ، وَالارْتِياحِ النَّفْسِيِّ الَّذي يَتَوَقَّعُ أَنْ يَنْجُمَ عَنْ زِيارَتي لَهُ . وَبَدَأَ يَقُصُّ عَلَيَّ قِصَّةَ مَرَضِهِ في إِسْهابٍ وَتَفْصيلٍ ، وَقالَ في وَصْفِ هٰذا المَرَضِ إِنَّهُ نِعْمَةٌ أَصابَتْ عائِلَتَهُ ، وَيَبْدو أَنْ لا عِلاجَ لَهُ . ثُمَّ أَضافَ إلى ذٰلِكَ قَوْلَهُ فَجْأَةً إِنَّهُ مَرَضٌ بَسيطٌ لَيْسَ مِنْ شَكٍّ في أَنَّهُ سَيَزولُ . وَكانَ يُقاسي كَثيرًا مِنْ حِدَّةِ حَواسِّهِ ، فَلَيْسَ في وُسْعِهِ أَنْ يَأْكُلَ إِلّا الطَّعامَ الَّذي لا طَعْمَ لَهُ ، وَأَنْ يَلْبَسَ إِلّا نَوْعًا مُعَيَّنًا مِنَ القُماشِ ، وَلا يَقْوى عَلى تَحَمُّلِ رائِحةِ الأَزْهارِ كَما أَنَّ أَشَدَّ الأَضْواءِ يُؤْذي عَيْنَيْهِ . وَقَدْ أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِأَلّا يُصْدَرَ بِالبَيْتِ أَيُّ صَوْتٍ بِاسْتِثْناءِ بَعْضِ الأَصْواتِ المُوسيقِيَّةِ .

قالَ : « إِنّي أَخْشى المُسْتَقْبَلَ ، وَلا أَعْني بِذٰلِكَ أَنّي أَخْشى ما يَحْدُثُ فيهِ بَلْ أَثَرَ هٰذِهِ الأَحْداثِ عَلَيَّ . إِنَّني أَرْتَعِدُ خَوْفًا مِنْ حُدوثِ أَيِّ شَيْءٍ يَريدُ مِنْ قَلَقي حَتَّى وَإِنْ كانَ هٰذا الشَّيْءُ تافِهًا إِنَّني أَشْعُرُ — في حالَتي المِطْبِعةِ هٰذِهِ — أَنَّهُ سَوْفَ يَأْتي وَقْتٌ قَريبٌ أَتَخَلَّصُ فيهِ مِنْ رُوحي وَجَسَدي مَعًا أَثْناءَ صِراعي مَعَ الخَوْفِ . »

لَقَدْ صُدِمْتُ عِنْدَما عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يُغادِرْ بَيْتَهُ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ . وَقَدْ قالَ

ى : « إنَّ ٱلبَيْت بجُدْرانِهِ وأَبْراجِهِ قَدْ سَيْطَرَ عَلَيَّ كُلَّ ٱلسَّيْطَرَةِ ، وهُناكَ قُوَّةٌ غَريبةٌ تَرْبُطُني بِهِ وَكَأَنَّ ٱلبَيْتَ وَما فيهِ كائِناتٌ حَيَّةٌ . » وَلَمْ أَعْرِفْ ماذا أَقولُ لِصَديقي عَنْ ذٰلِكَ .

وَاعْتَرَفَ لي بِشَيْءٍ مِنَ ٱلتَّرَدُّدِ أَنَّ قَدْرًا كَبيرًا مِنْ تَعاسَتِهِ يَرْجِعُ إلى سَبَبٍ بَسيطٍ هُوَ ٱلمَرَضُ ٱلمُزْمِنُ ٱلمُؤْلِمُ ٱلَّذي تُعاني مِنْهُ شَقيقَتُهُ ٱلَّتي يُحِبُّها مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ . إنَّها رَفيقَتُهُ مِنْ سَنَواتٍ عَديدةٍ ، وَآخِرُ أَقْرِبائِهِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَقالَ لي بِمَرارةٍ لَنْ أَنْساها : « إنَّها سَوْفَ تَموتُ قَريبًا . وَبِمَوْتِها أُصْبِحُ آخِرَ فَرْدٍ في عائِلَةِ أَشَر ٱلعَريقَةِ . » وَفي أَثْناءِ حَديثِهِ مَرَّتْ لَيدي مادْلين — فَقَدْ كانَ هٰذا اسْمَها — بِأَقْصى ٱلغُرْفَةِ وَلَمْ تَلْحَظْ وُجودي مَعَ أَخيها ، فَتَطَرَّتُ إلَيْها بِدَهْشَةٍ وَخَوْفٍ حَقيقِيَّيْنِ ، وَلَمْ أَدْرِ سَبَبًا لِتِلْكَ ٱلدَّهْشَةِ وَذٰلِكَ ٱلخَوْفِ . وَعِنْدَما ذَهَبْتُ نَظَرْتُ إلى صَديقي فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَطّى وَجْهَهُ بِكِلْتا راحَتَيْهِ لِيُخْفِيَ طُوفانًا مِنَ ٱلدُّموعِ

إنَّ ٱلمَرَضَ ٱلَّذي تُعاني مِنْهُ لَيدي مادْلين قَدْ أَعْجَزَ أَطِبَّاءَها رَغْمَ مَهارَتِهِمْ ، وَلَمْ تَعُدْ تُهِمُّهُمْ بِأَنْ تَعيشَ أَوْ تَموتَ . إنَّ نُقْصانَ وَزْنِها ٱلمُسْتَمِرَّ قَدْ جَعَلَ جِسْمَها واهِنًا ضَعيفًا ، وَمِمَّا زادَ ٱلطِّينَ بِلَّةً أَنَّ قَلْبَها كانَ يَتَوَقَّفُ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ . وَقالَ لي صَديقي في حُزْنٍ يَصِفُ تِلْكَ ٱلفَتَراتِ ٱلَّتي يَتَوَقَّفُ فيها قَلْبُها : « لا يُمْكِنُ ٱلتَّفْرِقَةُ بَيْنَ هٰذِهِ ٱلفَتَراتِ وَبَيْنَ ٱلمَوْتِ ٱلحَقيقِيِّ . إنَّ عَلَيْها ٱلآنَ أَنْ تَظَلَّ في فِراشِها ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّنا لَنْ نَراها مَرَّةً أُخْرى عَلى قَيْدِ ٱلحَياةِ . »

مَكَثْنا عِدَّةَ أَيّامٍ لا نَذْكُرُ اسْمَها ، وَخِلالَ تِلْكَ ٱلفَتْرَةِ كُنْتُ أُبْدِلُ قُصارَى

جُهْدي كَيْ أَبْعَثَ ٱلرّاحَةَ وَٱلبَهْجَةَ في قَلْبِ صَديقي . فَكُنّا نَقومُ مَعًا بِٱلرَّسْمِ وَٱلقِراءَةِ ، أَوْ كُنْتُ أَسْتَمِعُ — وَكَأَنّي في حُلْمٍ — إلى ٱلمُوسيقى ٱلَّتي كانَ يَعْزِفُها . وَٱزْدادَتْ أَواصِرُ ٱلصَّداقَةِ بَيْنَنا ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنّا يَقُصُّ عَلى ٱلآخَرِ أَسْرارَهُ وَدَخيلَةَ نَفْسِهِ . وَلٰكِنْ كانَ هٰذا كُلُّهُ مِنْ دُونِ جَدْوى إذْ إنَّ ٱلظَّلامَ ٱلَّذي كانَ يَمْلَأُ مُخَيِّلَتَهُ قَدْ صَبَغَ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَنا بِلَوْنٍ أَسْوَد ، وَكَأَنَّما هُوَ طُوفانٌ مِنَ ٱلبُؤْسِ لا آخِرَ لَهُ .

سَوْفَ أَذْكُرُ دائِمًا تِلْكَ ٱلسّاعاتِ ٱلطَّويلَةَ ٱلحادَّةَ ٱلَّتي قَضَيْتُها مَعَ صاحِبِ بَيْتِ اشَر ، وَلٰكِنْ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَشْرَحَ بِصُورَةٍ وافِيَةٍ ما كُنّا نَقومُ بِهِ مِنْ أَعْمالٍ وَمُناقَشاتٍ . لَقَدْ كانَتْ لَهُ مُثُلُهُ ٱلعُلْيا ٱلَّتي أَصْبَحَتْ مُخْتَلِطَةً مُضْطَرِبَةً خِلالَ مَرَضِهِ ٱلطَّويلِ ، وَلَمْ يَكُنْ في وُسْعِهِ آنَذاكَ إلّا أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ هٰذِهِ ٱلمُثُلِ بِٱللَّوْنِ وَٱلصَّوْتِ : بِأَكْثَرِ ٱلرُّسومِ غَرابَةً وَبِٱلمُوسيقى ٱلصَّعْبَةِ ٱلَّتي يَقومُ هُوَ بِوَضْعِها . وَلَمْ يَكُنِ ٱلنّاتِجُ عَنْ هٰذا ٱلتَّعْبيرِ شَيْئًا يَتَّسِمُ بِٱلوُضوحِ حَتّى بِٱلنِّسْبَةِ إلَيْهِ نَفْسِهِ . وَلِهٰذا فَمِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ تَتَصَوَّرَ مَدى ٱلصُّعوبَةِ ٱلَّتي واجَهْتُها وَأَنا أُحاوِلُ فَهْمَهُ .

لَقَدْ ظَنَنْتُ يَوْمًا أَنَّ فِكْرَةَ إحْدى صُوَرِهِ سَهْلَةٌ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ تَفَهُّمي لَها . وَلَقَدْ تَذَكَّرْتُ تِلْكَ ٱلصُّورَةَ لأَنَّها جَعَلَتْني أَرْتَعِدُ وَأَنا أَنْظُرُ إلَيْها . فَقَدْ ظَهَرَ في تِلْكَ ٱلصُّورَةِ ممرٌّ مُسْرِفٌ في ٱلطُّولِ ، وَلَهُ جُدْرانٌ مُنْحَفِضَةٌ ناعِمَةٌ بَيْضاءُ . وَتُظْهِرُ خَلْفِيَّةُ ٱلصُّورَةِ أَنَّ هٰذا ٱلممرَّ مُنْحَفِضٌ كَثيرًا عَنْ سَطْحِ ٱلأَرْضِ ، وَلٰكِنّي لَمْ أَرَلهُ مَخْرَجًا وَلَيْسَتْ بِهِ مَصابيحُ أَوْ أَيُّ مَصْدَرٍ

آخرَ لِلضَّوْءِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ ٱلمَنْظَرُ بِأَجْمَعِهِ يَسْبَحُ في بَحْرٍ مِنَ ٱلأَشِعَّةِ ٱللَّامِعَةِ .

وَفي أَثْناءِ إِحْدَى مُناقَشاتِنا قالَ لي أَشَر إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِلنَّباتاتِ جَميعًا ٱلقُدْرَةَ عَلى ٱلإِحْساسِ . وقالَ كَذٰلِكَ إِنَّ لِبَعْضِ ٱلأَجْسامِ غَيْرِ ٱلحَيَّةِ ٱلقُدْرَةَ عَلى ٱلإِحْساسِ في ظِلِّ بَعْضِ ٱلظُّروفِ . وكما ذَكَرْتُ آنِفًا فَإِنَّ لِهٰذا ٱلِاعْتِقادِ عَلاقَةً بِٱلأَحْجارِ ٱلرَّماديَّةِ لِبَيْتِهِ . فَقَدْ كانَ يَرى أَنَّ ٱلطَّريقَةَ ٱلَّتي صُفَّتْ بِها تِلْكَ ٱلأَحْجارُ في ٱلجُدْرانِ مُنْذُ مِئاتِ ٱلأَعْوامِ قَدْ مَنَحَتْها حَياةً خاصَّةً بِها . كَما أَنَّ ماءَ ٱلبُحَيْرَةِ وَٱلأَشْجارَ ٱلذّابِلَةَ لَها نَصيبٌ في تِلْكَ ٱلحَياةِ . وَأَضافَ قائِلًا : « إِنَّ ما يُثْبِتُ وُجودَ قُدْرَةٍ عَلى ٱلإِحْساسِ لَدَى ٱلجُدْرانِ وَماءِ ٱلبُحَيْرَةِ أَنَّها قامَتْ بِٱلتَّدْريجِ وَبِصُورَةٍ أَكيدَةٍ بِإِيجادِ نَوْعٍ مِنَ ٱلهَواءِ ٱلخاصِّ بِها لِيُحيطَ بِٱلمَكانِ . »

ذَكَّرَني هٰذا ٱلقَوْلُ بِما ساوَرَني مِنْ أَفْكارٍ وَأَنا أَقْتَرِبُ مِنَ ٱلبَيْتِ مِمَّا جَعَلَني أَشْهَقُ في تَعَجُّبٍ وَٱسْتِغْرابٍ . وَواصَلَ حَديثَهُ قائِلًا . « لَقَدْ كانَ لِهٰذا ٱلهَواءِ أَثَرُهُ ٱلصّامِتُ ٱلمُرْعِبُ عَلى أَفْرادِ أُسْرَتي . وَهُوَ ٱلَّذي جَعَلَني عَلى ما أَنا عَلَيْهِ . » فَٱلْتَزَمْتُ ٱلصَّمْتَ وَأَنا غَيْرُ قادِرٍ عَلى ٱلتَّفْكيرِ في رَدٍّ مُناسِبٍ .

ذاتَ مَساءٍ قالَ لي أَشَر في كَلِماتٍ مُقْتَضِبَةٍ إِنَّ ٱللَّيْدي ماذْلين قَدْ تُوُفِّيَتْ ، وَإِنَّهُ يَنْوي أَنْ يَحْتَفِظَ بِجُثَّتِها لِمُدَّةِ أُسْبوعَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَدْفِنَها في إِحْدى ٱلغُرَفِ ٱلعَديدَةِ أَسْفَلَ ٱلبَيْتِ . وَلَمْ يَكُنْ سَبَبُ قَرارِهِ هٰذا غَيْرَ طَبيعِيٍّ ، لِأَنَّهُ كانَ قَدْ وَضَعَ في ٱعْتِبارِهِ ذٰلِكَ ٱلمَرَضَ ٱلغَريبَ ٱلَّذي كانَتْ تُعاني مِنْهُ . وَبِٱخْتِصارٍ كانَ

هَدَفُهُ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّها قَدْ ماتَتْ حَقيقَةً قَبْلَ أَنْ يَضَعَ جُثَّتَها في مَقْبَرَةِ ٱلعائِلَةِ .

ٱسْتَجَبْتُ لِطَلَبِ أَشَر وَساعَدْتُهُ في ٱلقِيامِ بِهٰذِهِ ٱلتَّرْتيباتِ . لَقَدْ قُمْنا — نَحْنُ ٱلِاثْنَيْنِ فَقَطْ — بِحَمْلِ ٱلجُثَّةِ داخِلَ ٱلتّابوتِ إِلى غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ رَطْبَةٍ مُظْلِمَةٍ تَقَعُ أَسْفَلَ ٱلمَكانِ ٱلَّذي كُنْتُ أَنامُ فيهِ . وَكانَتْ تِلْكَ ٱلغُرْفَةُ تُسْتَخْدَمُ فيما مَضى مِنَ ٱلزَّمانِ مَخْزَنًا لِلْبارودِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ مَوادَّ خَطِرَةٍ . وَكانَ جُزْءٌ مِنْ أَرْضِ ٱلغُرْفَةِ مُغَطًّى بِٱلنُّحاسِ ، كَما كانَ ٱلنُّحاسُ يُغَطّي جُدْرانَ ذٰلِكَ ٱلمَمَرِّ ٱلطَّويلِ ٱلمُؤَدّي إِلى ٱلغُرْفَةِ وَيُحيطُ بِٱلبابِ ٱلحَديديِّ ٱلثَّقيلِ ٱلخاصِّ بِتِلْكَ ٱلغُرْفَةِ .

بَعْدَ أَنْ وَضَعْنا ٱلتّابوتَ عَلى مِنْصَّةٍ مُنْخَفِضَةٍ أَرَحْنا ٱلغِطاءَ قَليلًا وَنَظَرْنا إِلى وَجْهِ ٱلمُتَوَفّاةِ ، وَلاحَظْتُ عَلى ٱلفَوْرِ أَنَّ ٱلأَخَ وَٱلأُخْتَ كانا مُتَشابِهَيْنِ تَمامًا . وَقَدْ لاحَظَ أَشَر ما دارَ في ذِهْني فَقالَ لي إِنَّهُما كانا تَوْأَمَيْنِ ، وَإِنَّهُما كانا مُتَعاطِفَيْنِ بِصُورَةٍ غَيْرِ عادِيَّةٍ . لَقَدْ شابَ وَجْهَها وَرَقَبَتَها لَوْنٌ طَفيفٌ ، وَكانَتْ عَلى شَفَتَيْها اِبْتِسامَةٌ خافِتَةٌ تَبْعَثُ ٱلرُّعْبَ لِأَنَّها تَأْتي مِنْ شَخْصٍ مَيِّتٍ . لَمْ نُطِلِ ٱلنَّظَرَ إِلَيْها ، بَلْ أَرْجَعْنا ٱلغِطاءَ إِلى مَكانِهِ وَأَغْلَقْناهُ ، ثُمَّ أَوْصَدْنا ٱلبابَ ٱلحَديديَّ ، وَرَجَعْنا إِلى ٱلجُزْءِ ٱلعُلْويِّ مِنَ ٱلبَيْتِ .

بَعْدَ ثَلاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ مِنَ ٱلحُزْنِ ٱلمَريرِ لاحَظْتُ شَيْئًا مِنَ ٱلتَّغْييرِ في تَصَرُّفاتِ صَديقي . لَقَدْ أَهْمَلَ أَوْ نَسِيَ نَشاطَهُ ٱلعادِيَّ مِنْ مُوسيقى وَقِراءَةٍ وَرَسْمٍ ، وَكانَ يَتَحَوَّلُ مِنْ غُرْفَةٍ إِلى غُرْفَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا أَوْ يَهْتَمَّ بِشَيْءٍ . وَٱزْدادَ شُحوبُ وَجْهِهِ عَنْ ذي قَبْلُ ، وَزالَ عَنْ عَيْنَيْهِ لَمَعانُها

وَكُنْتُ أُحِسُّ في بَعْضِ الأَحْيانِ أَنَّ لَدَيْهِ سِرًّا يُريدُ أَنْ يُفْضِيَ بِهِ إِلَيَّ ، وَلٰكِنْ تُقْصُهُ الشَّجاعةُ في ذٰلِكَ . وَكانَ في أَوْقاتٍ أُخْرى يَجْلِسُ ساعاتٍ طويلةً مُحاوِلًا الإِصْغاءَ إِلى أَصْواتٍ يَتَخَيَّلُها ، وَكَأَنَّما كانَ يَتَوَقَّعُ حُدوثَ شَيْءٍ غَيْرِ عادِيٍّ . هَلْ مِنَ الْمُسْتَغْرَبِ أَنْ تَمْلَأَني حالَتُهُ تِلْكَ بِالْخَوْفِ ، وَأَنْ أَشْعُرَ بِأَنَّ مَخاوِفَهُ الْمُرْعِبَةَ قَدْ بَدَأَتْ تَنْتابُني ؟

في اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ أَوِ الثَّامِنَةِ بَعْدَ وَفاةِ الْلِّيدي ماذْلِين بَدَأْتُ أُحِسُّ بِقُوَّةِ تِلْكَ الْمَشاعِرِ . وَكانَتْ عَيْناي لا تَغْمُضانِ لِساعاتٍ طَويلةٍ وَأَنا أُحاوِلُ مُقاوَمَةَ مَشاعِرِ الْخَوْفِ هٰذِهِ . وَكُنْتُ أُنْحي بِاللَّوْمِ عَلى الْبِيئَةِ الْمُحيطَةِ بي ، وَعَلى الأَثاثِ الْمُتْرَبِ وَالسَّتائِرِ الْمُمَزَّقَةِ الَّتي تَروحُ حِينًا وَذِهابًا أَمامَ الرِّيحِ الَّتي تَسوقُها عاصِفَةٌ تُنْذِرُ بِالْهُبوبِ . وَكُنْتُ أُنْحي بِاللَّائِمَةِ أَيْضًا عَلى الْفِراشِ الَّذي كُنْتُ أَنامُ عَلَيْهِ . وَلٰكِنَّ تِلْكَ التَّعِلَّاتِ لَمْ تُجْدِ شَيْئًا .

وَأَخيرًا نَهَضْتُ مِنْ فِراشي وَتَطَرَّتُ مَلِيًّا في ظَلامِ الْغُرْفَةِ فَسَمِعْتُ — أَوْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنّي سَمِعْتُ — بَعْضَ الأَصْواتِ الْخافِتَةِ الَّتي كانَتْ تَجيءُ مِنْ حَيِّي إِلى حَيِّي كُلَّما حَمَلَتْ صَوْتُ الرِّيحِ . فَأَسْرَعْتُ بِارْتِداءِ مَلابِسي وَأَنا أَرْتَعِدُ — وَلَمْ أَكُنْ أَدْري أَ مِنَ الْخَوْفِ كانَ ارْتِعادي أَمْ مِنَ الْبَرْدِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أُهَدِّئَ رَوْعي بِالسَّيْرِ السَّريعِ جَيْئَةً وَذِهابًا داخِلَ الْغُرْفَةِ .

بَعْدَ أَنْ سِرْتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا سَمِعْتُ طَرْقًا خَفيفًا عَلى الْبابِ ، ثُمَّ دَخَلَ أُشِر وَهُوَ يَحْمِلُ مِصْباحًا . كانَتْ نَظَراتُ عَيْنَيْهِ تَنُمُّ عَنْ قَلَقٍ شَديدٍ .

صاحَ بي فَجْأَةً : « أَلَمْ تَرَها ؟ إِنَّكَ لَمْ تَرَها حَتّى الآنَ ، وَلٰكِنِّي انْتَظِرُ

فَسَوْفَ تَراها . » ، ثُمَّ وَضَعَ مِصْباحَهُ بِعِنايَةٍ في مَأْمَنٍ مِنَ الرِّيحِ ، وَأَسْرَعَ نَحْوَ النَّافِذَةِ وَفَتَحَها لِتَنْدَفِعَ مِنْها ريحُ العاصِفَةِ .

أَوْشَكَتِ العاصِفَةُ الَّتي هَبَّتْ أَنْ تُلْقِيَ بِنا أَرْضًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ تَكُنِ العاصِفَةُ هِيَ الَّتي جَذَبَتِ انْتِباهَنا ، وَلا السُّحُبُ الكَثيفَةُ الَّتي كانَتْ تَتَطايَرُ في شَتَّى الِاتِّجاهاتِ حَوْلَ البَيْتِ وَالَّتي حَجَبَتِ القَمَرَ وَالنُّجومَ – وَلٰكِنْ ما جَذَبَ انْتِباهَنا هُوَ البَيْتُ نَفْسُهُ وَكُلُّ ما حَوْلَهُ – فَقَدْ كانَتْ جَميعُها – حَتَّى السُّحُبُ في السَّماءِ – تَلْمَعُ بِضَوْءٍ غَيْرِ طَبيعِيٍّ غَريبٍ ، وَكانَ هٰذا الضَّوْءُ يَنْبَعِثُ مِنَ الجُدْرانِ وَمِنْ ماءِ البُحَيْرَةِ .

قُلْتُ لَهُ : « يَجِبُ أَلّا نَنْظُرَ إِلى هٰذا الضَّوْءِ وَسَوْفَ أَحولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رُؤْيَتِهِ . إِنَّ هٰذا الضَّوْءَ الَّذي يُقْلِقُكَ لَيْسَ إِلّا مُجَرَّدَ اضْطِراباتٍ كَهْرُبائِيَّةٍ في الجَوِّ . هَيّا بِنا نُغْلِقِ النَّافِذَةَ إِذْ إِنَّ الرِّياحَ بارِدَةٌ ، وَهِيَ ضارَّةٌ بِصِحَّتِكَ . ها هُوَ ذا أَحَدُ كُتُبِكَ المُفَضَّلَةِ ، وَسَوْفَ أَقْرَأُ فيهِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَمِعَ ، وَبِذٰلِكَ نَقْضي هٰذِهِ اللَّيْلَةَ المُفْزِعَةَ مَعًا . »

بَدَأْتُ أَقْرَأُ وَبَدا أَشَرٌ يَسْتَمِعُ أَوْ يَتَظاهَرُ بِالِاسْتِماعِ في اهْتِمامٍ كَبيرٍ . وَكانَ الَّذي أَقْرَأُهُ قِصَّةً مَشْهورَةً لِسير لُوتْسيلُوت كانِنج . وَبَعْدَ أَنْ واصَلْتُ القِراءَةَ لِثَماني أَوْ عَشْرِ دَقائِقَ وَصَلْنا إِلى المَوْقِفِ الَّذي يَقْتَحِمُ فيهِ بَطَلُ القِصَّةِ بَيْتَ عَدُوِّهِ . وَكانَتْ كَلِماتُ القِصَّةِ في هٰذا المَوْقِفِ عَلى النَّحْوِ الآتي :

« فَرَفَعَ إِثْلْرِد سَيْفَهُ وَضَرَبَ البابَ ضَرَباتٍ عَنيفَةً حَتَّى كَسَرَهُ وَفَتَحَهُ . وَكانَ صَوْتُ البابِ وَهُوَ يَتَكَسَّرُ يَكادُ يَمْلَأُ الغابَةَ . » وَفي نِهايَةِ هٰذِهِ الجُمْلَةِ

تَوَقَّفْتُ إِذْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنّي أَسْمَعُ صَوْتًا خافِتًا لِخَشَبٍ يَتَكَسَّرُ ، وَكانَ يَبْدو أَنَّ هٰذا الصَّوْتَ يَأْتي مِنْ مَكانٍ ناءٍ في البَيْتِ ، وَقُلْتُ في نَفْسي لا بُدَّ أَنَّهُ ناجِمٌ عَنْ بَعْضِ الأَضْرارِ الَّتي أَحْدَثَتْها العاصِفَةُ ، وَلَيْسَ في هٰذا ما يَهُمُّني أَوْ يُقْلِقُني فَواصَلْتُ قِراءَةَ القِصَّةِ :

« وَعِنْدَما دَخَلَ إِثْلْرِد الطَّيِّبُ تِلْكَ الغُرْفَةَ وَقَفَ عَلى أَرْضٍ مِنَ الفِضَّةِ أَمامَ وَحْشٍ غاضِبٍ ، وَكانَ وَراءَ الوَحْشِ دِرْعٌ كَبيرٌ مُعَلَّقٌ عَلى الحائِطِ مَكْتوبٌ عَلَيْهِ : مَنْ يَدْخُلْ هُنا فَقَدِ انْتَصَرَ ، وَمَنْ يَقْتُلِ الوَحْشَ فَلَهُ هٰذا الدِّرْعُ . رَفَعَ إِثْلْرِد سَيْفَهُ مَرَّةً أُخْرى وَضَرَبَ رَأْسَ الوَحْشِ ، فَوَقَعَ الوَحْشُ مَيِّتًا بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ عِدَّةَ صَرَخاتٍ اهْتَزَّتْ لَها الجُدْرانُ ، وَسَقَطَ الدِّرْعُ الثَّقيلُ عَلى الأَرْضِ بِجِوارِ قَدَمَيْ إِثْلْرِد . »

هُنا شَعَرْتُ مَرَّةً أُخْرى بِالدَّهْشَةِ وَالخَوْفِ ، وَاضْطُرِرْتُ إِلى أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ القِراءَةِ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَدَيَّ شَكٌّ آنَذاكَ أَنّي سَمِعْتُ صَوْتَ أَلَمٍ وَاضِحٍ وَخافِتٍ ، وَتَبِعَ ذٰلِكَ عَلى الفَوْرِ صَوْتُ ضَرَباتٍ تَقَعُ عَلى شَيْءٍ مَعْدِنِيٍّ . لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدًا أَنَّ أَشَرَ نَفْسَهُ قَدْ سَمِعَ تِلْكَ الأَصْواتَ ، فَانْدَفَعْتُ وَأَنا أَرْتَعِدُ إِلى الكُرْسِيِّ الَّذي يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَكانَتْ عَيْناهُ مُرَكَّزَتَيْنِ عَلى البابِ وَشَفَتاهُ تَتَحَرَّكانِ . وَعِنْدَما انْحَنَيْتُ نَحْوَهُ سَمِعْتُهُ يَقولُ : « هَلْ أَسْمَعُهُ ؟ نَعَمْ ، إِنّي أَسْمَعُهُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ لِعِدَّةِ دَقائِقَ وَعِدَّةِ ساعاتٍ وَعِدَّةِ أَيّامٍ . وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ أَجْرُؤْ ... آهٍ يا لَحَظِّيَ التَّعِسِ ! إِنَّني لَمْ أَجْرُؤْ عَلى الكَلامِ ... لَقَدْ وَضَعْناها حَيَّةً في التَّابوتِ . أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ حَواسي حادَّةٌ ؟ إِنّي أُخْبِرُكَ الآنَ أَنّي قَدْ

سَمِعْتُ حَرَكاتِها الأُولى مُنْذُ عِدَّةِ أَيّامٍ ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ أَجْرُؤْ عَلى الكَلامِ . وَالآنَ في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ قَرَأْتَ لي عَنْ إِثْلِرد .. ها ! ها ! وَكَسْرِ البابِ وَصَرْخَةِ المَوْتِ المُنْبَعِثَةِ مِنَ الوَحْشِ وَسُقوطِ الدِّرْعِ .. قُلْ بَدَلًا مِنْ ذٰلِكَ فَتْحَها لِتابوتِها وَصَرَخاتِها وَمُحاوَلاتِها في ذٰلِكَ المَمَرِّ النُّحاسِيِّ لِسِجْنِها . آهٍ أَيْنَ أُخْتي ؟ أَلَنْ تَأْتي قَريبًا إلى هُنا ؟ أَلَنْ تُسْرِعَ إِلَيَّ مُؤَنِّبَةً لي عَلى تَسَرُّعي ؟ أَلَمْ أَسْمَعْ خُطُواتِها عَلى الدَّرَجِ ؟ أَلا أُحِسُّ بِدَقّاتِ قَلْبِيَ العَنيفَةِ ؟ » وَهُنا قَفَزَ وَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ : « أَيُّها المَجْنونُ ، إِنّي أُخْبِرُكَ أَنَّها تَقِفُ الآنَ خارِجَ البابِ . »

وَانْفَتَحَ البابُ الكَبيرُ وَكَأَنَّ في صَوْتِ أَشَر قُوَّةً خارِقَةً ، وَكانَتِ الرِّيحُ الصّاخِبَةُ هِيَ الَّتي فَتَحَتِ البابَ عَلى مِصْراعَيْهِ . وَهُناكَ خارِجَ البابِ كانَتْ تَقِفُ لِيدي مادْلِين أُوف أَشَر بِعَوامِلِها الطَّويلِ وَرِدائِها الأَبْيَضِ . ظَلَّتْ لِلَحْظَةٍ واقِفَةً بِالبابِ وَهِيَ تَرْتَعِدُ ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ نَحْوَ أَخيها وَسَقَطَتْ بِثِقْلِها عَلَيْهِ وَهِيَ تُطْلِقُ صَيْحَةً خافِتَةً . ماتَ أَشَر لِتَوِّهِ مِنْ هَوْلِ الصَّدْمَةِ ، وَبَعْدَ دَقيقَةٍ واحِدَةٍ ماتَتْ أُخْتُهُ بِجِوارِهِ .

هَرَبْتُ مِنْ تِلْكَ الغُرْفَةِ وَمِنَ البَيْتِ كُلِّهِ مِنْ فَرْطِ خَوْفي . وَلَمْ أَنْظُرْ خَلْفي إِلّا بَعْدَ أَنْ كُنْتُ قَدِ اجْتَزْتُ البُحَيْرَةَ . وَعِنْدَئِذٍ دَوَّى صَوْتٌ يُصِمُّ الآذانَ ، ثُمَّ شاهَدْتُ ذٰلِكَ الشَّرْخَ الَّذي أَشَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَالَّذي يَمْتَدُّ مِنَ السَّقْفِ إلى مُسْتَوى الأَرْضِ – شاهَدْتُهُ يَتَّسِعُ وَكَأَنَّهُ فَكٌّ وَحْشٍ ضَخْمٍ ، وَتَداعَتِ الجُدْرانُ الضَّخْمَةُ ، وَسَمِعْتُ أَصْواتًا عالِيَةً ، أَصْواتَ آلافِ الأَمْواجِ ، ثُمَّ ابْتَلَعَتْ مِياهُ البُحَيْرَةِ العَميقَةِ الدّاكِنَةِ ما تَبَقّى مِنْ حُطامِ بَيْتِ أَشَر .

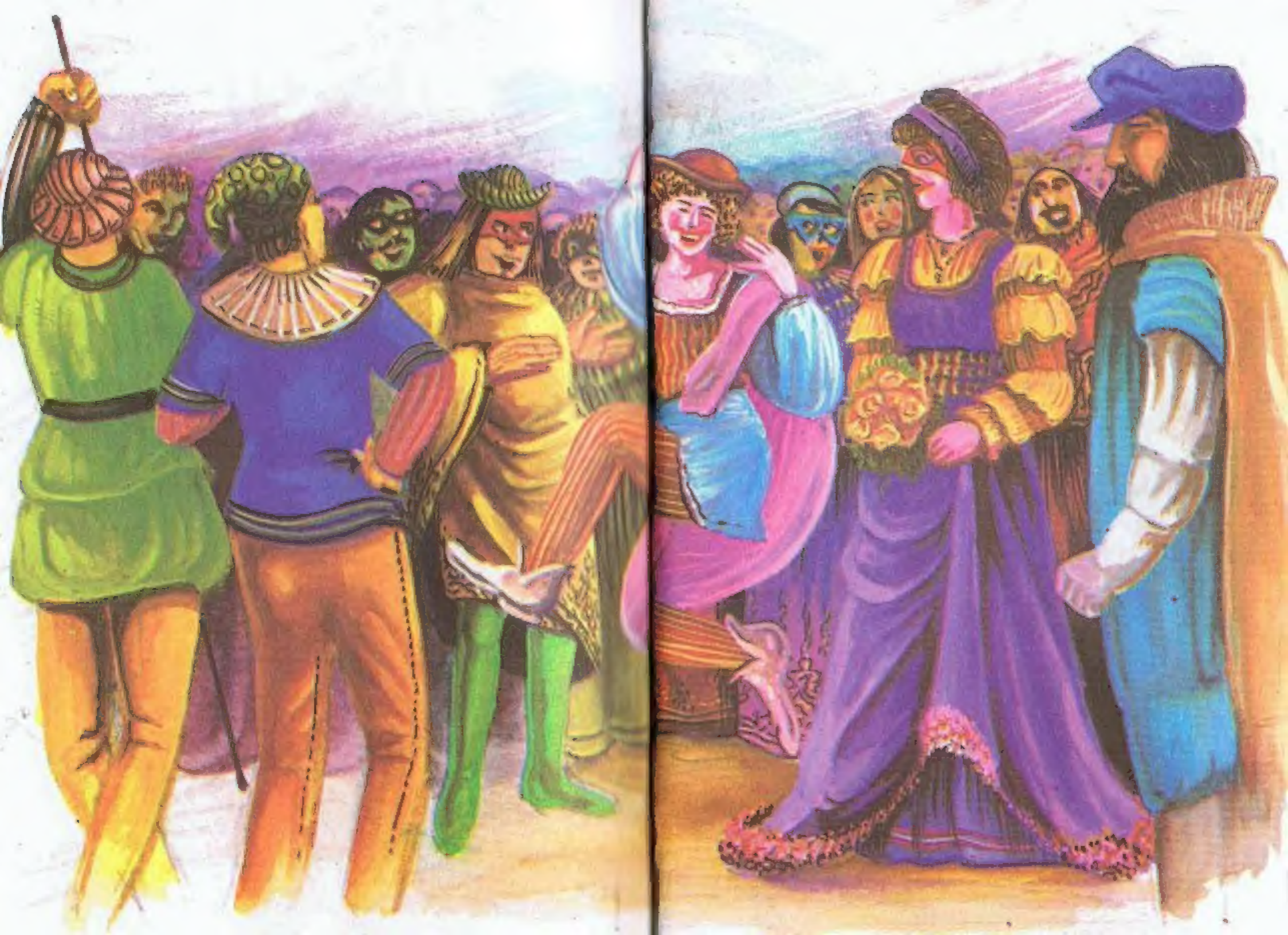

المغامرات المثيرة

١ ــ مغامرة في الأدغال
٢ ــ مغامرة في الفضاء
٣ ــ مغامرة أسيرين
٤ ــ مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ ــ مغامرة على الشاطىء
٦ ــ الجاسوس الطائر
٧ ــ لصوص الطريق
٨ ــ حمد الغواص الشجاع
٩ ــ اللصان الغبيان
١٠ ــ مطاردة لصوص السيارات
١١ ــ مغامرات السندباد البحري
١٢ ــ لعبة خطرة
١٣ ــ الحشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤ ــ اللؤلؤة السوداء
١٥ ــ سر الجزيرة

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 213